درس الجمعة بالأزهر

لإمام الجامع الأزهر

فضيلة الشيخ صالح الجعفري رضي الله تعالى عنه

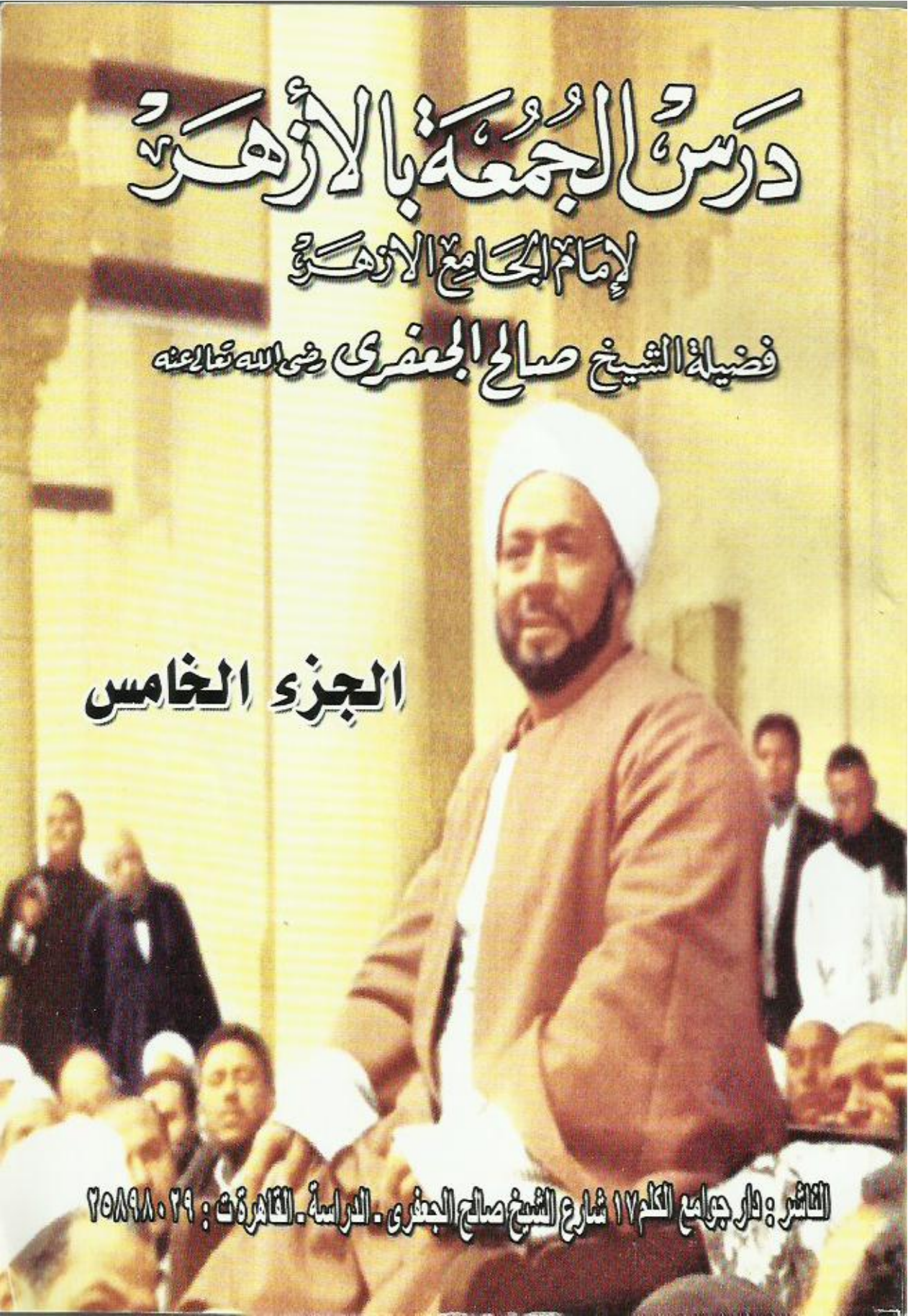

الجزء الخامس

الناشر: دار جوامع الكلم ١٧ شارع الشيخ صالح الجعفري - الدراسة - القاهرة ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

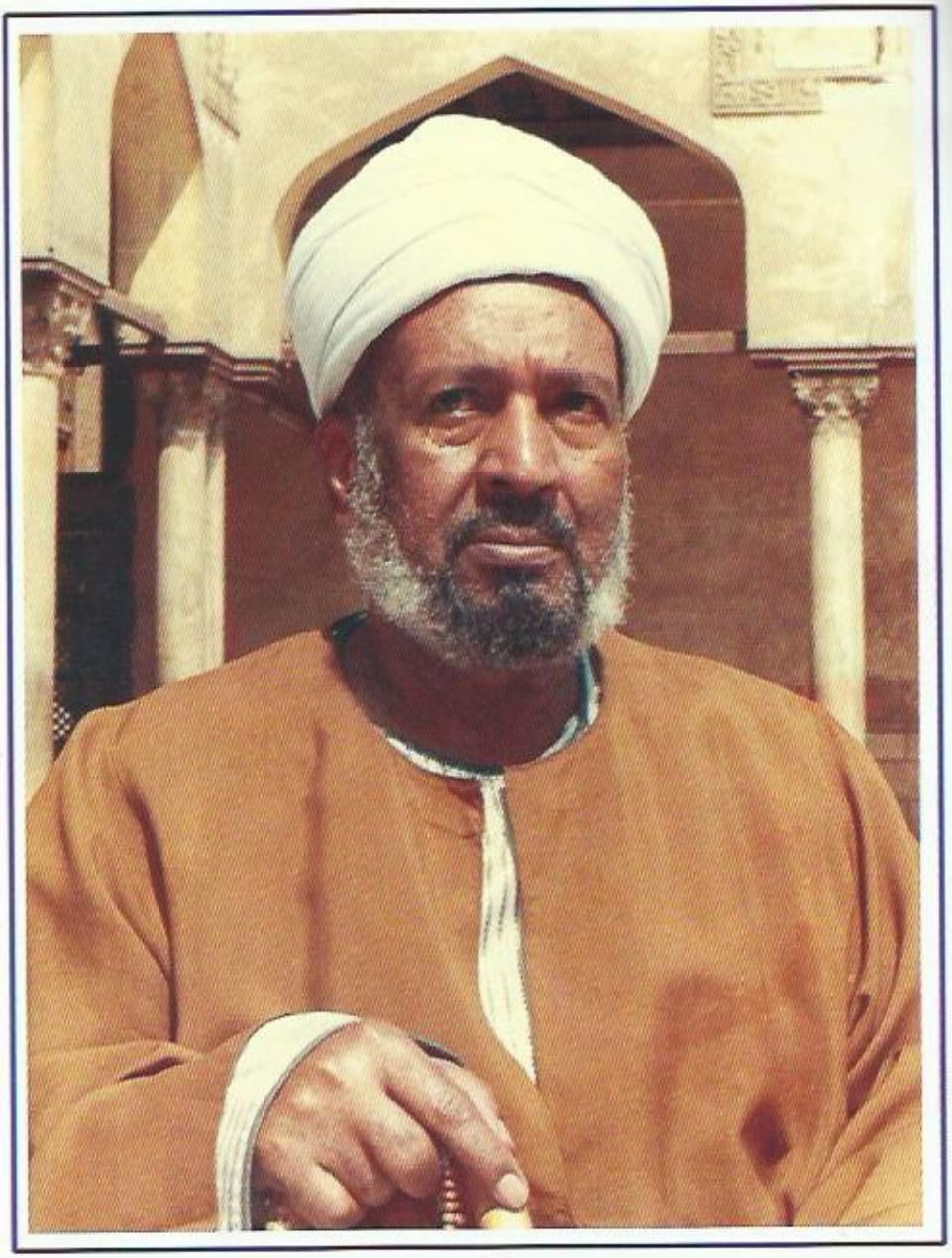

صورة العارف باللّه تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى اللّه تعالى عنه
مؤسس الطريقة الجعفرية

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية الأحمدية
المحمدية بمصر والعالم الإسلامى

دَرْسُ الجُمُعَة بالأَزْهَر

ألقاه العارف بالله تعالى

الشيخ صالح الجعفرى

إمام وخطيب ومدرس بالأزهر الشريف

وصاحب درس الجمعة الشهير

الجزء الخامس

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى/ الدراسة / القاهرة

تليفون : ٢٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الذى يحب العلماء العاملين ويبغض أهل الجهل والخمول وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد سيد ولد آدم أجمعين من فاق أرباب الفصاحة والعقول ..

ورضى الله عن آله وعترته أهل المودة والمحبة ، والمعرفة الصادقة والمدد الموصول.

وبعـــد ..

فإن دار جوامع الكلم الجعفرية ما تزال على عهد الوفاء لتراث العالم الإمام والحبر الهمام قطب أهل الشريعة والحقيقة سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، فقد كان رضى الله تعالى عنه بحراً زاخراً بالعلوم والمعارف ، وكانت دروسه ومؤلفاته مملوءة بالذخائر واللطائف ، ومن النصح للمسلمين العمل على نشر علمه ودروسه وخطبه ومقالاته وفتاويه، ومن فضل الله تعالى علينا أن أكرمنا بخيرة أهل هذا الزمان سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى عبد الغنى صالح الجعفرى يعيننا على أداء المهمة وإكمال المسيرة بما اتصف به من جد وجهاد ومثابرة وصدق وإخلاص ، ومحبة للعلم ونشره بين الناس.

فلهذا سرنا قدمًا فى نشر درس الجمعة المبارك وهو كتاب لا يدرك قيمته إلا من فرّغ نفسه لاستيعاب ما فيه ، والتقاط دره وفوائده .

فدونك أيها القارىء الكريم تلك الدرة المصونة والجوهرة المكنونة فى هذا الجزء الخامس من درس الجمعة .

ونسأل الله تعالى أن يديم به النفع ، وأن يجزل به الأجر ، وأن يهدى به من شاء إلى صراط مستقيم ..

دار جوامع الكلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ورضى الله عن شيخنا سيدى صالح الجعفرى وأرضاه وجعل الجنة متقلبة ومثواه وأكرمنا بمحبته ورضاه وبعد ..

فإن الحديث عن درس الجمعة الذى اشتهر به شيخنا سيدى الشيخ صالح الجعفرى إمام الجامع الأزهر الشريف عقب صلاة الجمعة لا يكون أبلغ ولا أروع من أحاسيس المشاهدة والحضور ، فالذين حضروا درس الجمعة شاهدوا شيخنا وهو يلقى الدرس ويخاطب العقول والهواجس النفسية بل يرد على الأسئلة التى تجول فى الخواطر بل يحل المشكلات والمعضلات التى جاء أصحابها للدرس بغية مقابلة الشيخ .

وهناك أشياء يعجز الحصر عن حصرها فهى المدد الربانى .. كلمات يرسلها الشيخ يخاطب بها عالما آخر والناس تسمع وفيهم من يقول متسائلاً : الشيخ يخاطب من ؟

وإنما يصل الكلام لأهل الحاجة إليه كوابل الغيث ،ولعل شيخنا أدرك هذه النعمة الربانية عليه عندما تضرع لربه قائلاً

يـا رب وانفعنـى بمـا قدرتـه من فيض علم صاب كالأمطار[١]

---

(١) ديوان الإمام الجعفرى ج ٢ ص ٣١٢.

ونحن إذ نقدم الجزء الخامس من درس الجمعة لشيخنا الإمام الجعفرى - رضى الله تعالى عنه - إنما نقدم تحفة نادرة فيها ذكرى ونجوى وخواطر وكم وكم ممن يقرءون الدرس فيذكرون ذلك اليوم الذى ألقى فيه ويذكرون الشيخ فى جلسته وهيئته وهيبته .

إن درس الجمعة كان الشاهد والمشهود للقاءات روحية بين الشيخ وأبنائه وأحبابه وتلاميذه ..

واليوم هو كذلك ذكرى وتذكرة فى أيدى رواد درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف وإن شاء الله تعالى يتحقق منه المدد وتكتمل به الهداية.

والله ولـــى التوفيـــق ،،

عبد الغنى صالح الجعفرى

شيخ عموم الطريقة

الجعفرية الأحمدية المحمدية

غرة رجب ١٤١٥هـ

ديسمـــبر ١٩٩٤م

مقدمة درس الجمعة

كان شيخنا عليه رضوان الله تعالى يفتتح درسه بهذه المقدمة قائلا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾.

ثم يقول شيخنا ـ عليه رضوان الله تعالى :

وبالسند المتصل إلى أئمة القراءات والتفسير والحديث من علماء الأزهر الشريف وغيرهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم نفعنا الله وإياكم بهم وبعلومهم آمين .

ثم يشرع فى الدرس ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث والأربعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

أى شيء يسمى غيبًا فهو عند الله، كأنه يقول : الغيب عند ربكم فى خزائن مُغلقة، ومفاتيحها عنده ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ فلا يعلم الغيب أحد من مخلوقاته: لا الملائكة، ولا الأنبياء ، ولا الصالحون . ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾(٢) . فإذا أراد أن يُعلِّمه أحدًا علَّمَهُ ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٣) . سبحانه! لم يخلق مخلوقاً إلا ومعه مكتوب : يعيش من العمر كذا ، وينال من الرزق كذا ، ومن الأزواج كذا ، ويعيش فى بلد كذا ، ثم ينتقل إلى بلد كذا .. هذا حكم فى خزائن علم الغيب التى عند الله ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾(٤) . إذا كان الإنسان لا يدرى فمن الذى يدرى؟ الله !!

لأن علم الغيب من صفات الله لا يشاركه فيها أحد ، ولا يصل

---

(١) سورة الأنعام : آية ٥٩.
(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥
(٣) سورة النساء : آية ١١٣.
(٤) سورة الأحقاف : آية ٩.

إليها أحد إلا به : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (٥) .

ذهبت ناقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ترعى ، فلم ترجع من الجبل ، فسأل عنها فلم يجدها ، فصار المنافقون يقولون : هذا محمد الذى يدعى علم الغيب كيف ضلت ناقته ولم يجدها ؟! فنزل سيدنا جبريل عليه السلام ليلاً وقال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : المنافقون يقولون كذا وكذا ، وإن ناقتك بوادى كذا .....

الإنسان يعلم من صاحبه ظاهره، ولا يعلم باطنه : قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(٦) . والإنسان قلبه يتكلم وهو لا يسمع كلام قلبه الذى فى جوفه، ولكن يسمعه الله تعالى ، وأمرنا أن ندعوه وأن نسأله وهو يعلم .

قال الشاعر :

ويمنعنى الشكوى إلى الناس أننى
عليلٌ ومن أشكو إليه عليلُ
ويمنعنى الشكوى إلى الله أنه
عليم بما أبديه قبل أقولُ

الله يعلم أننى مريض فما أريد أن أخبره ، ولكن هو أمر أن أسأله ليعطينى، فها هو ذا سيدنا عيسى عليه السلام يقول كما حكى عنه القرآن الكريم : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ

---

(٥) سورة الجن : آية ٢٦ ، ٢٧ .
(٦) سورة الملك : آية ١٣ .
(٧) سورة المائدة : آية ١١٦ .

عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾(٧) .

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (٨) .

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ قلبى وما ينطق به لسانى ، ﴿ وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أي : لا أعلم الغيب الذى عندك ..

القلب أصلاً يتكلم ، واللسان ينطق، ولا تسمع كلام القلب ولكن الله يسمعه ولذا أوجب على نفسه ـ تفضلاً ـ رزقه كل دابة ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٩) .

يا ابن آدم: لا تقلق من رزقك فإن الله قد علم به ، علم ما كان ترابًا لم يخرج من الأرض حتى الآن (مستودعها) الذى لا يزال طيناً ، المستقَر: هو الذى استقر على الأرض ، لا تفكر فى رزقك! فإن الرزق ليس بيدك ، وليس من شأنك ، ولكنه يحتاج إلى خالق، ولا خالق إلا الله .

﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾(١٠) كل شىء فى الوجود مخلوق لله تعالى ويحتاج إلى الله الذى خلقه ...

---

(٨) سورة المائدة : آية ١١٦ .
(٩) سورة هود : آية ٦ .
(١٠) سورة فاطر : آية ٣ .

سبحانه! يعلم الجنين الذى فى البطن ، ويعلم ضعفه ، وما يحتاج إليه من طعام وشراب ، فهو يرزقه بطريقة يعجز عنها العالم أجمع .. فالذى رزقك وأنت فى الرحم فى بطن أمك كيف لا يرزقك وأنت فى الدنيا .. كيف استطاع أن يرزقك فى مكان لا يمكن لأحد أن يوصّل إليك هذا الرزق فيه : ولما أراد أن ينزله فى الأرض أعدَّ له ثديين .. هذه رحمة عامة .. سبحانه .. يا رب! أنت أرحم الراحمين وأقدر القادرين ، المغربى قال:

يا قلب ثق بالله * إنك لله راجعْ
وارض بقضاء الله * الخيرة فى الواقِعْ

* * *

لا تذكر إلا الله * فى سرك والإعلان
واعلم بأن الله * حاضر فى كل مكان
إن كان نفعك الله * حاشا يضرك إنسان

* * *

تدبيرك ما يسواش * ومن تدبيرك دعنى

لا تعتمد على زيد ، ولا على عمرو .. قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما يُسلَّطُ على ابن آدمَ ما يخافُهُ ابنُ آدمَ ولو أن ابْن آدمَ لم يخَفْ غيرَ اللهِ لم يُسلَّطْ عليه أحدًا ، وإنما وكل ابنُ آدم لمن رجا ابنُ آدم ، ولو أنّ ابْن آدم لم يرجُ إلا الله لم يَكِلْهُ الله إلى غيره » رواه الحكيم الترمذى فى النوادر.

سيدنا هود ـ عليه السلام ـ عندما قال له قومه :

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴾(١١) . قال لهم :

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٢) .

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(١٣) أى: كافيه ومانعه .

يأتيه بالكفاية من الرزق فلا يحتاج إلى أحد ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾(١٤) أى الشىء الذى كتبه فى الأزل كله لا بد أن يخرج للدنيا لا يعارضه إنس ولا جن .

﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(١٥) . لو نزلت الأمراض دفعة واحدة هلك العالم ، وكذا الحرارة ، والبرودة ، ولولا هذا المقدار لمات الناس من الحرارة والبرودة ، البرد ليس آتيًا من عند نفسه ، وكذا الحر ..

المطر .. من أنزله ؟ الله ..

لماذا ينزل المطر قطرة قطرة ؟ لأن الله سبحانه يعلم أن فى الأرض طيورًا ، وفيها الأغنام الصغيرة ، وفيها الضعفاء ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ

---

(١١) سورة هود : آية ٥٣ ـ ٥٥ .
(١٢) سورة هود : آية ٥٦ .
(١٣) سورة الطلاق : آية ٣.
(١٤) سورة الطلاق : آية ٣.
(١٥) سورة الطلاق : آية ٣.
(١٦) سورة الحجر : آية ٢١.

إلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[١٦] معلوم عند من؟ عند الله تعالى ..

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾[١٧]. أهل الشهوات يتمنون أن يكون لدى الإنسان منهم سيارة ملاكى يصطاد بها من كل طريق امرأة.

ولو كانت الأرزاق تأتى بقـوةٍ
لمـا أدرك العصفورُ شيئاً مع النسر

جعل الله النسر يأكل اللحم ، وجعل هذا يأكل الحب ، فليس بينهما تزاحم على الرزق .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » رواه مسلم..

الفرس عندما تتحرك وهى نائمة تحس وتنظر لما تحتها ، حتى لا تضع حافرها على ولدها الصغير.

هذه الرحمة سرت فى جميع العوالم : انظر إلى الأم مع ابنها! ، انظر إلى البقرة وإلى الحمار ، وإلى القطة!، ترى الغرائب والعجائب.

﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[١٨].

أعطى للبقرة أرجلاً أربع تمشى عليها ، ثم أعطاها ثديًا ترضع منها أولادها وكذلك جميع الحيوانات ..

---

(١٦) سورة الشورى : آية ٢٧ .

والأسد قوى ، ولكن الله تعالى أنزل بقلبه الرحمة لأولاده .. وكذا الثعبان له حنان على أولاده ، وهذا كله بيد الله تعالى ، وبفضله ، لكى يقول لخلقه: أنا لا أخلق شيئا عبثًا. نظام بديع .. حملت البقرة ثم وضعت حملها ، انظر ماذا تفعل مع أولادها؟

العالم كله لم يشرك بالله بل يسبح الله تعالى بما فيه من حيوانات وبحار وأشجار .. لم يشرك بالله إلا الإنس ، والجن ، ولذا كلفهم الله تعالى ، والباقى غير مكلَّف،لأنهم يؤمنون بالله ويسبحونه..

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(١٩).

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾(٢٠).

الطير تسبح الله تعالى بلغة ، واليمام يسبحه بلغة ، وكذا النمل له لغة مخصوصة يسبح بها .

وكذا جميع المخلوقات لكل نوع لغة ..

أما الملائكة الكرام فلغتهم واحدة ..

من لم يعرف الله لا يساوى حيوانًا ..

يُحكى أن رجلاً أعرابيًا كان يسير فى البادية راكبًا حمارة ويحمل عليها متاعه : فقال : لعنك الله من حمارة . فأنطقها الله تعالى ، لعن

---

(١٨) سورة طه : آية ٥٠.

(١٩) سورة النور : آية ٤١.

(٢٠) سورةالإسراء : آية ٤٤.

الله أعصانا لربه » .

فهو لم يكتف بضربها أو حمل الأثقال عليها ، ولكن قام بلعنها وهذا ما أحزنها ولذا يقول العلماء :

لا يُلْعَنُ المؤمنُ حيًا ولا ميتًا ، والكافرُ لا يلعنُ حيًا ويجوز لعنُه إن مات على الكفر وعرفنا ذلك منه عند موته كفرعون وأبى جهل وأبى لهب وغيرهم .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس المؤمنُ بلعَّانٍ ولا طعَّانٍ ولا فاحشٍ ولا بذيءٍ »

فالرجل يلعن زوجته ، وأهلها ، بل ويلعن دينها وهذا كفر وردّة ثم يعيش معها، لا حول ولا قوة إلا بالله! لولا رحمة الله لهلك العالم! الأسد يخرج من الأجمة جوعان هائجًا يريد أن يأكل ، الأرض تهتز، وجميع الوحوش والحيوانات فى الغابة يصيبها الذعر والرعب، ماذا حدث؟ صوت الأسد!!

فالحيوانات تنادى ربنا! يا رب خلصنا من هذه الشدة ؟

فيرسل الله تعالى برحمته لهذا الأسد بقرة يأكلها ، فيعم الأمان تلك المنطقة وتهدأ ثورة الأسد.

قطعة لحم من البقرة تطمئن الغابة كلها ..

كان هناك إنسان يسير فى الجبال فخرج عليه ثور عظيم يأكل لحوم البشر ، فلما رآه من بعيد رأى شجرة عظيمة فألهمه الله أن يصعد عليها ، ثم جاءه الثور ونظر إليه وهو على الشجرة ثم نام هذا

الثور تحت الشجرة . فأخذ الرجل يدعو ربه ويقول : يا عالم بالحال وأنا فى الجبال ..

ثم جاءه الفرج أرسل الله له أسدًا يزأر . فقام الثور يريد أن يضرب الأسد فضربه الأسد فسقط ..

ثم نزل الرجل من فوق الشجرة فلما رآه الأسد رجلاً مسكينًا وهو فى نفس الوقت قد شبع تركه لحاله فنجاه الله من الهلاك بالهلاك .

ويحكى أن إنسانًا من الصوفية كان يسير فى الجبل فوجد بئرًا فلما أراد أن يشرب منها سقط فيها ولم يستطع أن يخرج منها ، فمر قوم عليه فلما أراد أن يستنجد بهم قال له قلبه : لا .. أين الله ؟ وبعد قليل رأى يدًا نازلة له فتعلق بها حتى خرج من البئر ، فلما خرج وجد أسدًا حيَّاهُ بذيله ثم انصرف عنه .

فقال الرجل : سبحان من أنجانى من الهلاك بالهلاك ..

فالموت هلاك ، والأسد هلاك ..

يحكى أن الذئب الذى قيل إنه أكل سيدنا يوسف عليه السلام أحضروه ـ فقالوا لسيدنا يعقوب : سَلْهُ

فقال له: أأنت أكلت يوسف؟ قال : أما تعلم يا نبىَّ الله أن الله حرم علينا لحوم الأنبياء؟ فتركه سيدنا يعقوب فاطمأن الذئب وصعد إلى الجبل مكانه فقال إخوة يوسف : لو عرفنا ذلك ما أحضرناه .

﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(٢١) . صدق الله العظيم..

---

(٢١) سورة فصلت : آية ٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع والأربعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ * ﴾

كلام الله كله دُرَرٌ وحِكَمٌ ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

مشايخنا القدامى الذين حضرتُ عليهم - بفضل ربى - كانوا يذكرون النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون : « سيدنا ومولانا رسول الله » ولم يقع منهم « قال محمد » .. الجماعة الذين ذهبوا إلى فرنسا وتعلموا هناك على أيدى المستشرقين نقلوا عنهم .. فعادة المستشرق أن يقول : محمد قال كذا وكذا .. فقلَّدوهم فى أقوالهم ؛ لأن عادة التلميذ أن يُقلِّد شيخه ...

أما مشايخنا القدامى فما كانوا يقولون ذلك .. بل كانوا يقولون: سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..

قال النووى ـ رحمه الله ـ : « يكره أن يقول العالم : قال الرسول، فلا يُذْكَر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلا بإضافته لربه : رسول الله ونبى الله .. وقد كانت طريقة السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم إذا ذكروا النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلّوْا وسلّمُوا عليه ، وتغيّرت ألوانهم ، وسالتْ مدامعهم حُبًّا وشوقًا واحترامًا وإجلالاً ، وتقديرًا له صلى الله عليه وآله وسلم الذى جعل الله موته كحياته .. ولم يُغَيِّر موته شيئًا من إكرامهم واحترامهم له صلى الله عليه وآله وسلم إلا الأشياء التى جرت العادة أن الميت لا يفعلها.

فجاء الصِّدِّيق ـ رضى الله تعالى عنه ـ وتقدَّم للصلاة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يُغيِّر ما كان يقوله وقت حياته هو والصحابة : السلام عليك ـ بكاف الخطاب ـ أيها النبى رحمه الله تعالى وبركاته .

سلموا عليه بعد أن دُفِن بعد موته كما كانوا يُسلِّمُون عليه وقت أن كان معهم وذلك لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يتغير بعد الموت بشىءٍ أبدًا .

وفسَّر بعض المفسرين قوله تعالى:

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴾(١).

بأن اللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة ؛ لأنه عند الله

---

(١) سورة الضحى : آية ٤ .

تعالى يزداد كمالاً وعِلْمًا ونورًا وقربًا وتوقيرًا واحترامًا فى كلّ لحظة..

كمالات الله لا تتناهى ، والمخلوق يقبل زيادة الكمال .. وأما الله تعالى فلا يوصف بأنه يزيد أو ينقص فى الكمال ـ فكماله قديم ، وعلمه قديم ـ ولا يقال: يزيد وينقص .. هذا كلام الشيخ إبراهيم البيجورى فى كتابه « شرح متن السنوسية » للشيخ السنوسىّ الأزهرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ .

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

فى المستقبل يارسول الله ، سيجعل الله لك فى مصر مسجداً يسمى الأزهر وسوف يجعله الله مكان العلم والتراث المحمدى ، سوف يعمره العلماء المفسرون والمحدثون والفقهاء ويكون آية من آياتك يا رسول الله لأنك ما تركت شيئًا أفضل من العلم ، ولا أحداً أفضل من العلماء . والأزهر مجمع للعلماء يأتون إليه من بلاد الدنيا وها هو الآن رواق المغاربة من المغرب ومن الجزائر ومن تونس ومن ليبيا ، ورواق الترك. من بلاد الترك جميعها من الأكراد واسطنبول ورواق الجبرت من الحبشة ونيجيريا والصومال ..

وهذه الأروقة فيها دلالة واضحة على أن الأزهر كان متصلاً ببلاد المسلمين جميعها منذ أَمَدٍ بعيد .. ووجدنا خزانة فى رواق المغاربة تاريخها الآن خمسمائة عام للشيخ أحمد زروق المغربى أحد من دَرس فى الأزهر ، فالأزهر له شرفه ، وله منافعه العامة وله شهرته وله سيطرته بك يا رسول الله .. لا يعلو شىء على الأزهر ؛

لأنك أنت شيخ الأزهر وقائده.. والأزهر إنما يدرّس تراثك العظيم كما قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ.

لم نخفْ بعدك الضلال وفينـــا
وَارِثُـو نور هديـــك العلمـــاءُ

فأمْن الأمة من الضلال بالعلماء ـ فإذا كانت شمسك لا ترى فى الظاهر فقد تركت شُمُوسًا كثيرة ترى ، وهم ورثتك ـ العلماء ـ فَقُلْتَ يا رسولَ الله: (الناس ثلاثة : عالم ومتعلم وما بين ذلك همج لا خير فيه)(٢).

وقد نظم هذا الحديث ابن النحوى فى منظومته «المنفرجة» فقال:

وخِيَارُ النَّـــاسِ هُدَاتُهـــمُ
وسِوَاهُـــمْ مِـنْ همجِ الْهَمَـــجِ

يقول أبو الحسنين سيدنا ومولانا على ـ رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ـ :

الناس موتى وأهل العلـم أحيـاء
والجاهلون لأهـل العلم أعـداءُ

فلا يتطاول على الأزهر متطاول ، ولا يحوم حول بحار علمه الزاخرة مدعٍ ، فهو الأزهر يسمى الأزهر ؛ لأن نوره ظاهر ..

وقد اتفقت الدولة المصرية سابقًا ولاحقًا.. على أن العالم حقًا هو العالم الأزهرى الذى يأخذ العالمية من هذا المسجد .. وهو الذى يعين إماماً ومدرساً وواعظًا .. وسواه لا ..

---

(٢) رواه الدارمى.

فإذا لامست يده يقال له : ليس عشك فادرجى..

فإن العلم فى الأزهر .. ولعلماء الأزهر خمسة عشر ألف مسجد من المساجد الكبيرة فى مصر .. فى كل جمعة يخطبون على المنابر باسم الأزهر الشريف.. بخلاف الوعاظ، بخلاف العلماء الذين يدرسون فى المعاهد والكليات بالآلاف.

العلماء فى الجزائر على المنابر وفى المعاهد وفى المدارس بعمائم الأزهر، العلماء فى السودان فى مساجده ومدارسه بعمائم الأزهر .

شيخ ملك المغرب الأقصى الآن رجل أزهرى .. من العلماء الأقدمين بشيبته وعمامته يدرس للمغاربة .. فالأزهر حيثما توجهت وجدته يزأر كالأسد فى أجم .

وقد جعل الله الأزهر مجمعًا للغيث .. ثم يحمله العلماء إلى الأرض الجرز فى البلاد التى تحتاج إلى العلم ، يعلمون الناس .

هذا كله معجزة لك يا رسول الله .. وهذا من فضل الله عليك الذى وعدك به ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾(٣) .

هذا هو الرضا التام .. فما اتفق لنبى من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من قبلك مثل الأزهر .. ما سمعنا بمدرسة بقيت من بعدهم زمنًا طويلاً .

وها هو الأزهر له ألف وعشرون سنة يُتْلى فيه القرآن ويُفَسَّر ، ويُرْوَى فيه الحديث ويفسر ، ويروى الفقه ويحقق ..

(٣) سورة الضحى : آية ٥ .

فالإمام مالك فى المدينة من قبيلة ، أصبح ، باليمن درس الفقه بالمدينة ، والإمام الشافعى من مكة ، والإمام أحمد بن حنبل فى بغداد ، والإمام أبو حنيفة فى الكوفة .

وقد جمع الله الأئمة الأربعة فى هذا الأزهر ، وجمع فقههم ، وجاء بالعلماء الذين ينقحون كل مذهب ويؤلفون فيه ويبثون للناس .. وإذا انتسب بعض الناس إلى الأزهر كان على مذهب من المذاهب الأربعة: مذهبه مالكى ، مذهبه شافعى، مذهبه حنبلى ، مذهبه حنفى. وقد جمع الأزهر الدين ، لأن فقه المذاهب الأربعة هو الدين الخالص المنقح المصحح الذى يرويه عالم عن مثله ، فقد كان الإمام مالك يدرس الفقه فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقول: حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر... فبينه وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم رجلان ..

وأنت ترى نفسك ، وتقول ، وتدعى .. وبينك وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم ألف وثلاثمائة وأربع وتسعون سنة !! أين الثرى من الثريّا ؟ أين أنت من مالك ؟

قديماً قالوا: أين معاوية من على؟ معاوية صحابى.. نعم.. ولكن هنك فرق بعيد ـ سبحان الله ـ (من كنت مولاه فعلى مولاه)[٤] . النبى عليه الصلاة والسلام قال هذا ..

وهكذا جمع الأزهر المذاهب الأربعة ، وجمع علم كتب التوحيد، وجمع علم كتب الحديث كالبخارى ومسلم وسنن أبى داود وسنن ابن

---

(٤) رواه ابن ماجة .

ماجة وسنن الدارقطنى وسنن البيهقى ..

إذا دخلت فى الأزهر : ترى العلماء .. هذا يحدث عن البخارى ، وهذا يحدث عن مسلم .. فكأن جميع المحدّثين جاءوا وحشروا هنا، فكأن الأزهر هو المنبع ، وكأن الأزهر هو المجمع لعلماء التفسير ولعلماء الحديث ولعلماء الفقه ـ والله قد أعطى المصريين وفاء ـ وأعطاهم فصاحة.. فلا تجد عالمًا يفسر كالعالم المصرى الأزهرى. فصاحة ولباقة ، وحفظًا ، ودراية واسعة ، واطلاعًا واسعًا ؛ لأنهم تلقوا العلم بالسند المتصل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن يلغو فى العلم من ليس من أهله .

في أول السنة : العالم المالكى يجلس فيقول : حدثنى الشيخ سليم البشرى عن شيخه ... إلى أن يصل بالسند إلى الإمام مالك ، فإذا وصل إلى الإمام مالك قال : قال مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وهكذا كل مدرس يروى العلم بالإسناد إلى إمامه . وقد جمع هذه الأسانيد الشيخ محمد الأمير المالكى فى كتاب سماه .. الأمير ، والحمد لله قد أخذت الإجازة منه ومن شيخنا الشيخ حبيب الله الشنقيطى .

وهكذا يا رسول الله شرح الله صدرك وأدخل عليك السرور بهذا الأزهر الشريف ، بعلماء الأزهر الشريف، وأنت تراهم وتسمعهم فى كل بلد ينقلون عنك الأحاديث النبوية الصحيحة .. ويشرحونها شرحًا وافيًا .. والله تعالى أدخل السرور على الأئمة الأربعة بهذا الأزهر ..

ففيه العلماء ينقلون عنهم الفقه مدونًا متصلاً مبيِّنًا للأمة الإسلامية .

وهذا كله بفضل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وليس العلم بأننا نعمل من أفكارنا ونكتب فى المجلاّت ، لأن العلم بالتلقى والإسناد إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد حاز هذه المنقبة الأزهر الشريف .. وهى منقبة عظيمة تسمى منقبة الإسناد.

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم

وبقى الذين حياتهم لا تنفع

ولكن الأزهر هو الأزهر إذا مات العالم فالقرآن لم يمت ، إذا مات العالم فالأحاديث لم تمت ، وإذا مات العالم ، فالفقه لم يمت ، ويقوم بهذا العلم سيد بعد سيد إن شاء الله إلى يوم القيامة ، والآن : هذه كلية الشريعة .. درست فيها وحصلت منها على الشهادة العالمية، فيها يدرس الفقه الإسلامى على المذاهب الأربعة ، وفيها يدرس التفسير والحديث ..

وهذه كلية أصول الدين.. تدرّس فيها علوم التوحيد والتفسير والحديث، وهذه كلية اللغة العربية تدرس فيها علوم لغة العرب، لغة القرآن والأحاديث وتبحث بحثًا واسعًا .. فها هو الأزهر لا يزال باقيًا، أسألك اللهم أن ترد عنه كل يد عابثة ، وكل فكرة خاطئة ، إكرامًا لهذا النبى الذى وعدته بالرضا ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ فهذا الأزهر عطاؤك يا رب له صلى الله عليه وآله وسلم .. اللهم أره فى الأزهر ما تقرُّ به عينه صلى الله عليه وآله وسلم وفى علماء الأزهر

وفى طلاب الأزهر .. اللهم جنبهم ما تكرهه ، ويسر لهم ما تحبه وترضاه .. اللهم أنت الولى والنصير ، وأنت على كل شىء قدير .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٥) .

لما نزلت المعوذتان وسمعهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم من جبريل فرح فرحًا عظيمًا وتلألأ وجهه الشريف نورًا وقال: (قد أنزل الله علىّ آيات لم يُر مثلهن)(٦) . وقال للصحابة : خير عظيم يا أصحاب أنزله الله علىّ اليوم وهو المعوذتان : (قد أنزل الله علىّ آيات لم يُر مثلهن) ..

يا أيها النبى ـ صلى الله عليك ـ شمس الوجود أنت .. ولو غابت شمس الوجود لأظلم الكون كله ، وإذا أضاءت شمس الدنيا فإن شمسك قد أضاءت الوجود .. وإذا غابت شمس السماء كل يوم فإن شمسك لا تغرب أبدًا .

إن شمس النهار تغرب بالليـــل وشمس القلوب ليست تغيب

فأنت يا رسول الله شمس القلوب، ولذلك نسأل الله أن يديم الإيمان فى قلوبنا ما دامت شمسك تنير قلوبنا .. ونسأل الله أن يثبتنا على الإيمان وأن يتوفانا مسلمين .. الله .. الله ..

« إذا نزل القدر فما يغنى الحذر » ..

الشيخ الخطيب قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾(٧) .

---

(٥) سورة يوسف : آية ٢١ .

(٦) رواه الترمذى.

(٧) سورة النمل : آية ٢٠ .

عن ابن عباس أن الهدهد كان يرى الماء العذب فى باطن الأرض ويخبر به سيدنا سليمان عليه السلام فيأمر الجن بالحفر فقال له تلميذه سعيد بن جبير: إذا كان الهدهد يرى الماء تحت الأرض فكيف لا يرى الحبة فى الفخ؟! فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : يا ابن جبير إن الله إذا أراد نفاذ أمر سلب من ذوى العقول عقولهم ، فالهدهد يرى الماء تحت الأرض ولكن إذا تم الأجل لا يرى الشَّرَك ، لأن الله قضى عليه بالموت .. فالهدهد لا يغنيه شىء إذا جاء الأجل ..

ابن المسيَّب من تلاميذ سيدنا ابن عباس رضى الله تعالى عنه وهو ممن قيل فيه سيد التابعين.. وقيل إن سيدهم محمد بن سيرين، وقيل: سيدنا جعفر الصادق، وقيل : سيدنا محمد الباقر، وقيل: سيدنا الحسن البصرى ، هؤلاء قيل فى كل منهم إنه سيد التابعين .. وكلهم طيبون.. وأنا عندى أن سيد التابعين محمد الباقر، لأنه ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنه ابن سيدنا على زين العابدين بن سيدنا الحسين ، وقيل : إنه من التابعين .. وقيل : إنه من تابعى التابعين .. وكان سيدنا على زين العابدين : عابدًا عالمًا رضى الله تعالى عنه اشتهر فى زمانه بالعبادة حتى لقبوه «بزين العابدين» و«على السجّاد» كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة .

وعندى أنا أرجح هذا الجانب بأن سيد التابعين سيدنا على زين العابدين ، لأنه ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أنت تقول كما قال الشاعر :

وتيهتمـــونى فى بديع جمالكـــم
ولم أدر فى بحر الهوى أين موضعى
ومن عجب أنى أحن إليهـــــم
وأسأل عنهم دائمـــا وهم معـــى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادهـــا
ويشتاقُهم قلبى وهم بين أضلعـــى

كفاك هذا .. ماذا تريد بعد أن قال ربك : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٨) . وقال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٩) . يكفيك قرب الله تعالى ويكفيك شهود الله تبارك وتعالى ..

فالصوفى قد استغنى بخطاب الله عما سواه، ولسان حاله يقول: يا رب لا تحجبنى فأنت البصير الذى لا يُحجب ، وأنا الفقير الذى يحجب.. فأنا المحجوب لا أنت .. اللهم لا تحجبنى ولا تشغلنى بشاغل كما قال الشيخ أبو البركات الدردير رضى الله تعالى عنه :

وقل بِـذُلٍّ ربِّ لا تقطعنـــــى
عنك بقاطـــــع ولا تحرمنـــى
من سرِّك الأبهى المزيل للعمـــى
واختم بخير يا رحيم الرِّحمَـــــا

وأنت قل مثل هذاالقول ..

لم يقل المولى فى القرآن : أنا أكلم الصحابة فقط ، ولم يقل: أنا أكلم التابعين فقط ، ولم يقل : أنا أكلم أهل المغرب ...

---

(٨) سورة طه : آية ٤٦.
(٩) سورة ق : آية ١٦.

قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ جميعاً ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ جميعاً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ كل مؤمن فى كل زمن ..

يخاطبك أنت كما يخاطب الصحابة رضى الله عنهم ، وكما يخاطب التابعين رضى الله عنهم ..

هو القائل سبحانه: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ أى : يا أيها الإنسان - كل إنسان - وهو سبحانه يجيبنا كما أجابهم ، ويجيبك كما أجاب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ..

﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٠).

النبى يونس - عليه الصلاة والسلام - كان فى غمّ وهمّ وندامة ، ثم نجاه الله ، فما مصيرنا نحن؟ الجواب ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

فمن جاء بالإيمان أجبته ، كما أجبت الرسل والأنبياء أجيبكم .. وهكذا ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١١).

أخرج البخارى فى صحيحه: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين) ..

---

(١٠) سورة الأنبياء : آية ٨٧ ، ٨٨ .

(١١) سورة الحشر : آية ١٨ ، ١٩ .

وفى رواية النسائى تقديم « الولد » « حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »

قال عليه الصلاة والسلام : « من لا أب له فهو لقيط »[١].

والأب أبوان : أبو الروح ، وأبو الجسد .. فشيخ الطريق أبو الروح ، وهو أفضل من أبى الجسد، لأنه يربى الروح الباقى ، وأبو الجسد يُربِّى الجسد الفانى ..

وعلى قدر حبك للشيخ على قدر ما تُمدّ من فيضه ومن بحره ومن طريقه .. حين يتكلم يتجلى عليه حب الشيخ حتى يسمعوا صوته منه من شدة استغراقه فى محبة الشيخ .. ا . هـ

---

(١٢) فى مختار الصحاح : اللقيط : المنبوذ يلتقط .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس والأربعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾.

صدق الله العظيم

هذه السورة نزلت بمكة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. ولها سبب، وهو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم غاب عنه الوحى مدة خمسة عشر يومًا فتكلم الكفار بأن صاحبه قد ودَّعه أى : تركه، وقلاه : أى: كرهه . وعادة الحسُود أنه كذَّاب ؛ لأنه يختلق الكلام من شدة غيظه ويتكلم فيمن يبغضه ويحسده . فهم حسدوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أنعم الله عليه ، فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يردّ عليهم وكان دائمًا يسكت حتى يتكلم الله .. فنزل القرآن يردّ عليهم كلامهم ، ولكن ردّ مع لطف ، وزجر .. لطفٌ مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وزجر للخصماء ..

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾.. أى أقسم بالضحى ، وأقسم بالليل إذا سجى فالله يقسم .. والواو حرف قسم أى : ما بعدها يكون مقسمًا به أى : أقسم بالضحى بأنه ما ودَّعك ربك وما قلى ..

وما مناسبة الحلف؟

الضحى ارتفاع الشمس بعد إشراقها .. الضحى وقت يسبقه وقت الشروق ويلحقه وقت الظهيرة .. فهو نورٌ بين نورين ، إشارة إلى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم معصوم قبل النبوة وفى عهد النبوة وبعد النبوة ؛ لأنه فى وسط نورين ، لم يسبقه ظلام ، ولم يعقبه ظلام ، فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم معصوم فى أول الأمر وفى آخر الأمر ..

وتسمى هذه السورة سورة النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. والسورة التى قبلها[١] تسمى سورة الصِّدِّيق ..

﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ : هو الظلام .. ﴿ إِذَا سَجَىٰ ﴾ غطى الليل بظلامه الأشياء .. فغطى الكفر بظلامه حقائق التوحيد ومنار العدل بين الأمم فصار الكفر كالليل :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

فجاء الضحى فكشف هذا الليل ، فصار النهار .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[٢].

﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[٣].

والليل لما كان مظلمًا فإنه لا يستطيع أحد أن يفعل فيه شيئًا ..

---

(١) يعنى : سورة الليل .
(٢) سورة الإسراء : آية ١٢ .
(٣) سورة النبأ : آية ١١ .

وجعل نومكم موتاً وانقطاعاً عن الخلق .. فالله يمحو الليل بالنهار لتظهر الفوائد ..

وأراد أن يمحو الكفر بهذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيظهرَ التوحيد بعد الشرك، ويظهرَ العدل بعد الظلم ، ويظهرَ العلم بعد الجهل، ويظهرَ التعاون بعد عدم التعاون ، فجاء صلى الله عليه وآله وسلم ليكشف بنهاره الظلام والليل .

يا كفار .. أتقولون : صاحبه ودّعه وقلاه .. أفلا تعقلون! فهذا النبى كالنهار ليبعد عنه ظلمة الكفر .. فهل أنتم سمعتم أن الشمس ظهرت ثم لا تظهر بعد ذلك .. فهذه هى الحكمة ..

فلماذا أقسم بالضحى .. نكتة لأصحاب البصائر .. فماذا تقولون؟ هذا هو الضحى ، وهذا هو النور ، وهذا هو الشمس الذى سيكشف عن الكون الظلم والوثنية والكفر .

فهل سمعتم بالضحى رجع .. وهذا أيضاً لا يرجع عن دعوته ولا ينقطع الوحى عنه .. فلا بد أن يتم الوحى .

الشمس ليس لها ظلّ.. والقمر لا ظلّ له.. والنور لا ظلّ له .. والظلّ للشجر مثلاً .. أى الظل للشىء الكثيف .. والنبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا وقف فى الشمس لا يظهر له ظلّ ، وإذا وقف فى القمر لا يظهر له ظلّ ، أما لسان الحال فيقول : يا شمس أنا شمس مثلك ، ويا قمر أنا قمر مثلك .. ولكنى لست مثلكما .. فلا ظلّ لى .. فأنت نور.. وأنا نور ، ولكنى أعظم منكما.. أنتما تذهبان

من الدنيا الظلام ، ولكن الكفر له ظلمة ، والظلم له ظلمة ، والجهل له ظلمة .. فهل أنتما تقدران على أن تزيلا ظلمة الكفر ..

فأما أنا فأصحابى يروننى نوراً .. أُنوّر المحسوسات ..

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كنتُ أخيط فى السحر فسقطت منى الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه، فأخبرته. فقال: «يا حميراء الويل ثم الويل (ثلاثاً) لمن حرِم النظر إلى وجهى»(٤).

فكل المؤمنين سوف يرون نورى يوم القيامة ولكن البخيل محروم من نورى. ومَن البخيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: « مَن إذا ذُكِرْتُ عنده لم يصلّ علىّ ». رواه أحمد والنسائى والترمذى ..

فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم عنده نور حسى ، وعنده نور لا تراه الأبصار ولكن تراه القلوب .. نوره يجعل القلوب تتكامل ..

ويا شمس .. أنا نورى وكلامى ومحبتى وبركاتى تجعل المؤمن يتكامل قلبه بالنور ..

فالمؤمن تهتزُّ روحه ؛ لأن الروح المؤمنة لا يمكن أن تسكت عندما تسمع ذِكْر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فالروح تسمع اسم الأمير والسلطان وغيرهما فلا تهتز ، ولكنها تهتز بسماع اسم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

فالأسد ملك الوحوش .. تهتزّ منه الوحوش كلها بإلهام من الله ،

(٤) رواه ابن عساكر ، وذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى ١/٦٢.

فكذلك الروح عندها سرٌّ ربّانى لا تهتزّ إلا لذِكْر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فمثل الروح كمثل إنسان جالس عطشان جوعان وعريان فقالوا له : أتعرف فلانا؟ قال : نعم .. هذا الإنسان سبب لإزالة هذا الجوع والعطش .. الخ ..

فحين تسمع اسمه تهتز وتعرف أنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

فنور النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنفع من الشمس والقمر .. ونوره أزال ظلمة الكفر ..

الشمس تغرب ، والقمر يغيب ، وهذا النور لا يغرب ولا يغيب ، وهذا النور من عند الله .. الشمس والقمر يسيران فى السماء ، وهذا النور فى السموات السبع والأرضين السبع ، وفى قلب كل مؤمن ومؤمنة..

فنور الشمس والقمر فى سماء الدنيا فقط ، ولكن هذا النور أضاء السموات والأرضين والقلوب .. فيا شمس استحى ، ويا قمر استَحِ أمام هذا النور العظيم ..

إن شمس النهار تغرب بالليـــــــ

ـــل وشمس القلوب ليستْ تغيبْ

قال عليه الصلاة والسلام :

« إنّى بُعثْتُ بالحنيفية السمحة »(٥).

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾(٦) للنقص والزيادة ، حتى نقص وعاد

---

(٥) رواه أحمد .

(٦) سورة يس : آية ٣٩.

كالعرجون القديم ـ سباظة النخل ـ وأما أنت يا أيها النبى فلا.

﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٧]. على الدوام لا ينقص بل يزيد ..

أقسم الله بالضحى إشارة إلى عصمته صلى الله عليه وآله وسلم.

وهل النبى صلى الله عليه وآله وسلم محتاج لأحد حتى يقول عنه إنه معصوم قبل النبوة وبعدها؟

قال صلى الله عليه واله وسلم : « كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد »[٨].

النبوة كانت قبل خلق آدم .. فهو معصوم قبل خلق العوالم كلها ، ومعْلومٌ قبل خلق العوالم كلها ..

ولمّا كان نبيّاً قبل خلق العوالم كلها فقد ظهرت الأنوار وحصلت المعجزات عندما وضعته أُمُّه ..

لم تشق الروح ؛ لأنها أفضل خلْق الله ، وأعلم خلْق الله ، ولكنه شقّ الجسد.. فالروح نور ، والجسد نور، والجسد نور، والجسد لما ظهر فى مظهر الجسد الجسمانى أخذ أداته، فيغسل بالماء، والبول طاهر، والريح طاهر، وإذا دخله الطعام كان الطعام مسكاً ، وطاهراً ، فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ تعبُّداً فهو الطيِّب المُطيِّب ، الطاهر المطهِّر ، فهو يأكل الطعام مثلنا ولكن يخرج منه شفاء ومسكاً .

• فتـــاوى :

* شروق الشمس النوافل فيه مُحرَّمة عند الأئمة الأربعة ، إلا

---

(٧) سورة الأحزاب : آية ٤٦ .

(٨) رواه الترمذى .

مَنْ كان عليه دَيْن ، أى صلوات ، فله أن يصلى الفرض .

* صلاة الضحى هى صلاة الأوَّابين أى : كثيرو التوبة والاستغفار ، قال صلى الله عليه وآله وسلم[٩] :

« لا يُحَافِظ على صلاة الضحى إلا أوَّاب . قال: وهى صلاة الأوَّابين » .

* الصلاة من زمن أبينا آدم - عليه السلام - إلى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ربِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ ومِن ذُرِّيَّتِي ﴾[١٠] . ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[١١] .

أقسم الله بالضحى وبالليل والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قال:

« مَن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »[١٢] .

فكيف يحلف الله بغير الله ؟

قال العلماء - رحمهم الله: الحلف بالله، لأن المقسم به محذوف ، والمعنى ﴿ والضُّحَىٰ ﴾ أى : وربِّ الضحى .

وقول آخر: هل يدخل الله تحت الشرع ؟! فالحلال والحرام عليك أنت لا على الله ﴿ وربُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ويَخْتَارُ ﴾[١٣] .

القسم : هو الحلف .. وما حكمته ؟

---

(٩) رواه الطبرانى وابن خزيمة .
(١٠) سورة إبراهيم : آية ٤٠ .
(١١) سورة آل عمران : آية ٤٣
(١٢) رواه البخارى ومسلم
(١٣) سورة القصص : آية ٦٨ .

حكمته تعظيم المقسم به الذى تحلف به .

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : .

« إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فَلْيَحْلِفْ بالله أو ليصمت »(١٤) .

هذا الحديث يدل على أن الحلف بالآباء منهىّ عنه أى : حرام ولكنه ليس كفراً ؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل لسيدنا عمر : جدِّدْ إيمانك .

حديث : « مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »(١٥) .

قال العلماء : الحديث محمول على الحلف بالأوثان والأصنام ، فمن يحلف بأبيه لا يكفر ، ومن يحلف بالصنم كفر ؛ لأنه عظم معبوداً غير الله ، وهذا كفرٌ وشِرْك ..

والحديث مفسر بحديث آخر: « مَن حلف منكم فقال فى حلفه : واللَّات والعُزَّى فليقل : لا إله إلا الله »(١٦) .

قال المالكية : والحلف بالنبى صلى الله عليه واله وسلم ليس حراماً وإنما هو مكروه فقط؛ لأن الإمام أحمد بن حنبل أجازه ، وإذا كان جائزاً عنده فلا يحرم عندنا .

والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ

---

(١٤) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .. (١٥) رواه الترمذى وابن حبان والحاكم .
(١٦) رواه أحمد .

يَعْمَهُونَ ﴾[١٧].

والنبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يحلف ويقول : « والذى نفس محمدٍ بيده »

• صلاة الضحى :

عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« يُصْبح على كلِّ سُلاَمَى من أحدكم صدقة : فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهلِيلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونَهْىٌ عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »[١٨].

رغيبة الضجر : أى ركعتان قبل الفجر فى الركعة الأولى تصلى بالفاتحة وقل يا أيها الكافرون ، وفى الركعة الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد .. وتصح بالفاتحة فقط فى الركعتين .

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ أى ما ترك ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي ما أبغضك ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴾.

فالله سبحانه وتعالى يقول : هؤلاء لا يعقلون ولا يفهمون إكرامى لك ، وما أعددتُه من الفضائل لك ، فهم لا يعلمون شيئا ..

فللآخرة خيرٌ لك من الأولى .. قل لهم : إنه كل يوم سوف يعطينى بركات وإسلاماً .. ولليوم المتأخر أحسن لك من الذى قبله .

---

(١٧) سورة الحجر : آية ٧٢ . (١٨) رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

أنت اليوم بمكة وغداً بالمدينة ، والدنيا كلها تحت نبوتك ورسالتك ، وسورة الضحى تَرْضِيَةٌ من لُطْف الله على نبيه ، وتسلية لجنابه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم ..

قال الشيخ الباجورى رحمه الله :

أى وللحظة المتأخرة خيرٌ لك من اللحظة المتقدمة.

وقول آخر : الآخرة : الجنة خير لك من الدنيا .

قال البوصيرى :

لها معانٍ كموج البحر فى مَدَدٍ
وفوق جوهره فى الحُسْنِ والقِيَمِ

• حكاية :

إبراهيم بن أدهم : ورث المُلْك عن أبيه ، وكان أبوه من ملوك خراسان، ولكن إرادة الله أن يكون من أوليائه فدخل يوماً قصره فوجد جارية تنام على سريره ـ وكانت خرساء ـ فقال لها : أتنامين على سرير المَلِك وأنت خادمة ؟ فأنطقها الله سبحانه وتعالى فقالت له: ما أحلم الله عليك! وما أجرأك على الله! أتأخذ اسمه « الملِك » سنوات ، وأنا أنام على سريرك ساعة فتغضب ؟!

فاتعظ إبراهيم رضى الله تعالى عنه وزهد ، وخرج تاركاً ملكه وراءه، وجلس يتعبد على شاطىء البحر، فعلمت أمه بذلك فذهبت إليه تعاتبه فألقى أمامها بإبرة فى البحر، ثم طلب من السمك أن يحضر الإبرة، فجاءت كل سمكة وفى فمها إبرة من الذهب ، فقال للسمك : أنا أريد إبرتى، فعاد السمك إلى الماء وجاءت له سمكة بإبرته .

فقال لأمه : أرأيت يا أمى ؟ أهذا المُلْك خير أم المُلْك الذى كنتُ فيه ؟ فتركته وانصرفت راضية سعيدة .

وحدث أن اشتهت نفسه رماناً فخرج من الخلوة وذهب إلى حديقة فى أحد الجبال ، وقال للحارس : بعْ لى رمانة ، فأتى له برمانة ، فأتى له برمانة فكسرها فإذا هى مُرَّة كالحنظل فقال له : ما هذا ؟ فقال الحارس : لى عشرون سنة فى هذه الحديقة ما تذوَّقت الرمان . فسأله إبراهيم : لماذا؟ فقال : أنا خادم وخدمتى لسيدى ألهتنى عن أكل الرمان . فعاد إبراهيم ، وقد اتَّعظ .

وفى الطريق وجد رجلاً نائماً على الأرض قد ابتلى بكل الأمراض وهو لا يفتأ يقول : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به غيرى. فقال إبراهيم : وهل هناك شىء من البلاء لم تُصَبْ به ؟ فقال له : نعم ، عافانى الله من حُبّ الرمان فلو ابتلانى به كيف أمشى وأبحث عنه وأنا على هذه الحالة ؟ فرجع واستغفر ربه ..

• هل إبليس من الجنّ أم من الملائكة ؟

قال رضى الله تعالى عنه :

عسكرى ترقى حتى صار ضابطاً ولما يُؤْمَر بالضباط : تجمَّعُوا بالحضور يحضر معهم ، ولما يُؤْمَر الضباط بالانصراف ينصرف معهم ، إذن يبقى إبليس أصله كان جنّياً ولكنه ترقَّى بالعبادة حتى صار طاووس الملائكة .. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾(١٩) .

---

(١٩) سورة الكهف : آية ٥٠.

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾(٢٠).

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾(٢١).

إذن فإبليس أصله من الجن، والخلاف بين العلماء هل هو أبو الجن بمثابة سيدنا آدم أبى البشر أم لهم أب غيره ؟

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال : « لا يرضى محمد وأحد من أمته فى النار »(٢٢).

نسى الجنة وتذكر أمته .. فالذى يرضيه أن تكون أمته فى الجنة معه، ولسوف يعطيك ربك فترضى فى الدنيا والآخرة..

فى الدنيا أعطاها الإسلام يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وبعدك قام الصدّيق والفاروق وفتحا البلاد ، وفتح ذو النورين وسيدنا علىّ رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه.. وما زالت المنارات عليها الأذان ، ولا يزال الحج كل عام بالملايين ، ولا يزال رمضان يصوم فيه الناس ..

رسول الله ذو الكرم ... علىّ القدر والهِمَمِ
على أبواب ازدحمتْ ... وُفُود العُرْب والعجَمِ

س: يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ

---

(٢٠) سورة الرحمن : الآيتان ١٤، ١٥ .
(٢١) سورة ص : آية ٧٦
(٢٢) رواه الخطيب فى تلخيص المتشابه .

وَالسَّمَوَاتُ ﴾(٢٣) . الأرض التى نعيش عليها .. أين تذهب ؟

ج : قال رضى الله تعالى عنه للسائل : أمتزوج أنت ؟ قال : نعم .

قال : عندك أولاد ؟ .. قال : عندى ثلاثة ..

أين كانوا قبل ذلك ؟ .. قال الرجل : كانوا فى علم الله .

كذلك هذه الأرض تكون فى علم الله ..

ليس المدار على كثرة العبادة ، وإنما المدار على التوفيق .. فالعبادة كثيرة وأبوابها كثيرة .. ولكن التوفيق نادر ، والكلام على التوفيق يشمل شيئيْن : الإخلاص ، والعمل ..

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٢٤) .

جميع أعمالنا من أقوال وأفعال تصعد إلى السماء ، وتُرْفَع إلى الله تعالى ، لكن كل عمل يحتاج إلى جناحيْن يطير بهما ، كما أن كلّ طائر لا يطير بغير جناحيْن ..

وبعض العلماء يقول : التوفيق جناح ، والإخلاص الجناح الآخر .. وبعضهم يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

«من يُرِدِ الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده»(٢٥) .

التفقه فى الدين جناح .. وإلهام الرشد جناح آخر .. يعنى علم وعمل ... قال الشيخ الشنقيطىّ رحمة الله عليه :

---

(٢٣) سورة إبراهيم : آية ٤٨ .
(٢٤) سورة فاطر : آية ١٠ .
(٢٥) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية .

طريقهم العلـم ثم العـملُ ثـم هبـاتٌ بعد ذاك تنزلُ

التوفيق عزيز.. العبد عنده القدرة، عنده الصحة، عنده المال.. ومع ذلك يسمع « الصلاة خير من النوم » قليلاً ما يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتى الصباح .. يحصل هذا مع وجود الاستعداد ، ووجود الصحة ، ووجود الماء ..

ويجب علينا أن ننصح عباد الله .. العالِم قبل الجاهِل ، نُذكِّره بأنه فى كل يوم يسأل اللهُ ملائكتَه عن عبده فى أوقاته الخمسة لا سيما فى صلاة العصر وفى صلاة الصبح .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون فى صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة النهار ويجتمعون فى صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار وتثبت ملائكة الليل فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادى؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، فاغْفِرْ لهم يوم الدين »(٢٥) .

تنبَّه إلى هذا الكلام .. فهناك سؤال عنك فى اليوم مرتين ..

فحافِظْ على صلاة العصر ، وحافِظْ على صلاة الصبح ؛ لأن الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فسَّر « الصلاة الوسطى » بصلاة العصر ، والإمام مالك رضى الله تعالى عنه فسرها بالصبح ..

﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾(٢٦) . أى : داعين للصلاة..

يقول الله تعالى : كيف تركتم عبدى يا ملائكتى ؟..

(٢٦) رواه البخارى ومسلم والنسائى . (٢٧) سورة البقرة : آية ٢٣٨ .

فيقولون : نحن يا رب لما أتيناه وجدناه يصلى صلاة العصر ، وتركناه وهو يصلى صلاة الصبح ..

تنبه إلى سؤال ربك عنك قبل أن تموت .. فبعد الموت ليس هناك عمل .. فإذا كنت قد صليت شهدت لك الملائكة: ذهبنا إليه وقت العصر وجدناه يصلى، وتركناه وهو يصلى الصبح ..

وسوف تكتب شهادتهم .. وتظهر آثارها يوم القيامة ..

بعض الصالحين يفرحون بصلاة العصر حين يتذكرون شهادة الملائكة ويتذكرون توفيق الله لهم ..

شهادة ملائكية عند خالق البرية تساوى الدنيا وما فيها .. هذا كلام عظيم ....

عجبًا للنائمين! لو سأل عنهم عسكرى لخافوا منه .. وربُّ السموات والأرض يسأل عنك أيها العبد ..

تنبه لهذا السؤال فإن وراءه أمورًا عظيمة ، فحين يسأل الله : كيف تركتم عبدى يا ملائكتى ؟ فإن وراء هذا هدايا من الله :

الهدية الأولى: رضاء من الله عليك .. والله يقول :

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(٢٨).

اللهم وفقنا لهذا العمل .. فالنائم عن صلاة الصبح لو علم هذا الفضل لأجاب المؤذن..

اتق الله أيها الإنسان! ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾(٢٩) ما الذى غرَّك ؟

---

(٢٨) سورة التوبة : آية ٧٢ .

(٢٩) سورة الانفطار : آية ٦ .

إنه خلقك فسوَّاك فعدَّلك ، فى أى صورة ما شاء ركَّبك .

انظُرْ ما صورتك؟ اعرضْ نفسك على حديقة الحيوان واسأل نفسك : أنت أحسن أم هذا ؟ سبحان الله !! وجعل الإنسان مستعداً للسجود .. يسجد ويركع .. وغيره كالحمار مثلاً لا يستطيع الركوع..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٣٠) .

أنت مخلوق للعبادة .. لست مخلوقًا للعراك .. أنت مخلوق للعبادة: صلاة وصيام ، وجعل جسدك مهيئاً للعبادة ، ولهذا علامات: فالإنسان عند الحج مهيأ لأن يركب قطارًا أو طائرة مثلاً .. ولكن إذا قيل : تعال يا حمار حجّ ، فإنه لا يعرف ، وإذا قيل : تعالى يا بقرة حجّى فإنها لا تعرف .. وهكذا خُلِق ابنُ آدم للعبادة .. وخلقت الحيوانات للأكل والشرب وضرب الله مثلاً للكفار بالبهائم ..

وجعل العبادة مثل الملائكة .. سبحان الله! بالله عليك تنظر إلى هذه النعم .. يأمرنا بأوامر ويُهيِّئنا لأدائها ..

مَن منكم يعرف يسوق الساقية؟ ابن آدم لا يعرف !!

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٣١) فى كل شىء .. حتى فى الأعمال..

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(٣٢) أمام الساقية وأمام الطنبور.

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ أمام الشىء الثقيل فيعجز عن حمله.

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ أمام الذبح .

---

(٣٠) سورة الذاريات : آية ٥٦.
(٣١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .
(٣٢) سورة النساء : آية ٢٨ .

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ فى مبتدئه ومنتهاه

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(٣٣) ..

أنا أحب أن يفكر ابن آدم فى قوله تعالى: ﴿ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾.

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾(٣٤).

انظُرْ ! ربٌّ عظيم يقول لعبدٍ حقير: إنه هو والملائكة يصلون على المؤمنين يدعون لهم وهو يرحمهم .. لماذا؟ لأنه ﴿ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.

رحمته بالمؤمنين هى التى سخرت الملائكة للاستغفار لهم ، والله تعالى يحب المتذللين ، والمتواضعين ، والمستغفرين ، والتائبين ، والملائكة تقول : يا رب اغْفِرْ للذين تابوا .. ا.هـ

---

(٣٣) سورة النساء : آية ٢٩.

(٣٤) سورة الأحزاب : آية ٤٣ ، ٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السادس والأربعون

فى تفسير قوله تبارك و تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١) .

صدق الله العظيم

هذه الآية تتكلم عن الإسراء ـ والإسراء مشهور عند الناس ـ والإسراء هو سفر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى بيت المقدس ..

والمعراج هو العروج من بيت المقدس إلى السماء السابعة .. وهذا كله حدث فى بعض ليلة .. وقبل الكلام عن الإسراء نقول: إن الإسراء والمعراج قد حصلت فيهما أمور خارقة للعادة لا تخضع لأحكام العقل.

فالإسراء معجزة .. والمعراج معجزة .. والمعجزة: يعجز الخلق جميعاً عن الإيان بمثلها، وتقصر عقولهم عن إدراكها.

وقد أخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرقتين

---

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا » .

وهذه المعجزة ثبتت فى أصح كتاب وهو القرآن الكريم وفى أصح كتب الحديث « البخارى » وفى غيره .

حينئذ: كونه صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى القمر فينشق .. هذا أمر خارق للعادة ليس للعقول فيه مجال، وليس لها أن تسأل: كيف ؟

أخرج البخارى عن أنس أنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضأوا منه قال فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضأوا عن آخرهم) ..

وقس عليه الإسراء والمعراج .. فإذا تصورت وفهمت أن الإسراء والمعراج معجزة فلا تجادل: هل كان بالروح أم بالروح والجسد..؟ لأن العقل يتكلم فى الأمور العادية ..

قال سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما حكى عنه القرآن ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾[٢] وهو ثمانون غرفة من الذهب ، والمسافة بعيدة جدًا بين بيت المقدس ومملكة سبأ .. فكيف أتى به آصف بن برخيا فى لمحة ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[٣] .

---

(٢) سورة النمل : آية ٣٨ .

(٣) سورة النمل : آية ٤٠

العقل ليس له فى ذلك مجال ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾[٤] ، لأنها كرامة لولى .. والولى سواء كان حيًا أم ميتًا لا تحصل له الكرامة أبدًا حتى يتبرأ من الحول والقوة . فإن كان حيًا يرى نفسه ميتًا ، ولا وجود له مع الله تعالى عندئذٍ يكرم بالكرامة من الله تعالى ؛ لأن الولى : هو الذى يتولى الله تعالى أمره .. فيكون فى عناية من يقول للشىء ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ فالولى لم يمد يده إلى اليمين ولا إلى الشمال ، ولكنه سلم لله أمره كله .. فما توجه بطلب إلا قال الله له كن فيكون ..

سيدنا سليمان عليه السلام يعرف هذا الكلام ، ولذا قال: ﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾[٥] أى: الذى جاء بالعرش هو ربى، وتكرم على بذلك ، وأجاب رغبتى ورغبة آصف ..

لا تعتقد أن نبيًا يعمل معجزة بحوله وقوته أو من عند نفسه ، بل هو الله القوى المتين الخالق ذو القدرة .. ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[٦] . لا يوجد البتة .

كيف انشق القمر؟ النبى صلى الله عليه وآله وسلم سأل الله نبع الماء من أصابعه فنبع الماء .. يقول الله: كن فيكون .. فالنبى لا يخلق .. الخالق هو الله .. إنما يقول له كن فيكون .. المرض جاء ـ لا تعرف : كيف جاء .. وإذا شفيت : لا تعرف كيف شفيت ؛ لأن ذلك بأمر الله تعالى العالم كله تحت قوله : (كن فيكون) .

---

(٤) سورة النمل : آية ٤٠ .
(٥) سورة النمل : آية ٤٠ .
(٦) سورة فاطر : آية ٣.

إذا ذهبت إلى نبى حيًا كان أو ميتًا، وأظهر الله لك شيئاً فهذا فضل الله وكرامة الله للنبى أو الولى.

إذا ذهبت إلى الحىّ أظهر عليك ما تريد ، وكذلك الميت ؛ لأن الشرع جاء فسوى بين الحى والميت .. والوثنيون فرقوا بين الحىّ والميت.. فعندهم: أنه إذا مات : انتهى وصار ترابًا ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾(٧).

فى الشرع : لا فرق بين الحىّ والميت إلا أنكم ترون الأحياء ولا ترون الأموات، ولذا فعلينا أن نزورهم اعتقاداً فى الله وإيمانًا بالغيب، واقتداء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

لقد سوى الشرع بين الأحياء والأموات فقال : ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٨) . والكافر بعد ذهاب روحه ـ مع ملائكة العذاب ـ إلى مقره ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾(٩) . هذا بعد موته ، فقد أثبت القرآن حياة الروح وأنها تتكلم ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾(١٠) .

كلا: أى : اسكت ـ لماذا ؟ فأنا لن أجيب دعاءك ..

ويا ملائكتى لا تجيبوه .. هى كلمة قالها وذهبت فى الهواء ، ثم التفت الخطاب الإلهى إلى الملائكة والأحياء: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(١١) .

---

(٧) سورة الممتحنة : آية ١٣.
(٨) سورة المؤمنون : آية ١٠٠.
(٩) سورة المؤمنون : آية ٩٩-١٠٠.
(١٠) سورة المؤمنون : آية ١٠٠.
(١١) سورة المؤمنون : آية ١٠٠.

حاجز عظيم بيننا وبين الأموات .. ولكنهم يروننا ولا نراهم ، ويسمعون كلامنا ولا نسمع كلامهم .. فهم قد أشبهوا الملائكة فى كونهم موجودين معنا ، ويروننا ، ويسمعون كلامنا ونحن لا نراهم ولا نسمع كلامهم .. كذلك الجن ..

وجاء الشرع بذلك .. والأحاديث بينت ذلك .. حينئذ لا بد من العناية بالأموات ، فلا نسبُّهم ؛ لأن كلامنا يبلغهم ، وإنما نترحم عليهم ؛ لأن الدعاء يبلغهم ..

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾(١٢) .

فلولا أنهم موجودون وينتفعون بهذا الدعاء لما أمر الله بذلك .. هذا الدعاء يذهب إليهم كلمح البصر ، وينتفعون به .. وربط بينهم وبين الأحياء .. ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١٣) .

أفظع شىء هو الغل والحسد والحقد بين المؤمن والمؤمن ؛ لأن ذلك يمنع عنه خيره ويسلط عليه شره .. فهذه الكلمة جمعت الخير كله .

فصلتك بالأموات : الاستغفار لهم ، وصلتك بالأحياء تنظيف قلبك ، وتطهيره من الحقد والحسد والبغضاء .. سبحانك ربنا .. والله سوف يعيد الأموات بعد أن يحافظ على أرواحهم التى سوف تأتى إلى الأجساد ؛ لأن الأجساد تفنى ، والأرواح فى عالم لا تتصوره العقول .. والأرض محصورة .. ثم إذا جاء يوم القيامة أعادهم مرة أخرى ..

﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾(١٤) أى نعيد أجسادكم ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾(١٥) .

(١٢، ١٣) سورة الحشر : آية ١٠ . (١٤، ١٥) سورة، طه : آية ٥٥ .

أى : نخرج أجسادكم لا أرواحكم .. فإذا أخرجت الأجساد سليمة جاءت الأرواح كما تأتى الطيور إلى أعشاشها وأوكارها .. ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾(١٦) .

النفخة الأولى: كما فى البخارى ومسلم ما يفيد بأن النفخ حديث يذيعه إسرافيل : (أيتها العظام النخرة والأجسام المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء) .

فى لمحة تتكون الأجساد ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (١٧) .. ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾(١٨) . أى بقول (كن) ..

وصرح فى آية أخرى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(١٩) .

قال تعالى للأجساد: (كونى.. فكانت) فهذا معنى ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٢٠) الأجساد التى صارت تراباً ناداها فسمعت..

أما النفخة الثانية : فقد قال عنها القرآن ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٢١) .

أذاع إسرافيل : « يا أرواح ارجعى إلى أجسادك » فتقوم الأجساد بمجرد أن يفرغ من النداء ..

---

(١٦) سورة الزمر : آية ٦٨ .
(١٧) سورة الأعراف : آية ٢٩ .
(١٨) سورة الذاريات : آية ٤٧ .
(١٩) سورة فصلت : آية ١١ .
(١٦) سورة طه : آية ٥٥ .
(١٦) سورة الزمر : آية ٦٨ .

قلوب العارفين لها عيـــونٌ ترى ما لا يراه الناظرونـــا

وأجنحة تطيـرُ بغير ريـشٍ إلى ملكوت ربٍّ العالمينـــا

تأتى الأرواح بغـير أجنحـة طائرة ، وابن آدم فى الحيـاة يرى نفسه طائرًا ولكن بغير أجنحة ، هذا الطيران من الروح ، وترجع يوم القيامة إلى جسدها بهذا الطريق ، وتدخل فيه كلمح البصر .. حينئذٍ يقول المؤمن : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(٢٢) .

ويقول الكافـر : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾(٢٣) .

حفظ الله الأرواح فى مقرّها .. أين مقرُّها ؟ الله تعالى أعلم .

إذا كان الإنسان لا يعرف حقيقتها فكيف يمكنه معرفة مقرها ؟!

قال صلى الله عليه وآله وسلم: « القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ».. رواه الترمذى والطبرانى.

ونحن إذا حفرنا القبر لم نجد جنة ولا نارًا ، ولكن القبر هو المقر الذى تسكنه الروح وليس القبر الذى دُفِن فيه الجسد ..

حينئذٍ الروح من عالم الغيب لا تُرَى ولا تُدْرَك ، والروضة من عالم الغيب لا تُرَى ولا تُدْرَك ، وكذا النار من عالم الغيب لا تُرَى ولا تُدْرَك ..

ولكن يجب علينا أن نصدق ونؤمن بما قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورد فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن جبريل عليه السلام قال له : « إن ربَّك يأمرك أن تأتى

(٢٢ ، ٢٣) سورة يس : آية ٥٢ .

أهل البقيع فتستغفر لهم » .

قالت : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله؟ ، قال: قولى : «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » .

هذا الكلام ليس مع العظم واللحم ، ولكن مع الذين هم فى روضة من رياض الجنة .. فلو لم يكونوا يسمعون لكان هذا عبثًا.

فكلُّ ميِّتٍ له قبران : قبرٌ روضةٌ من رياض الجنة ، وقبرٌ للجسد .. هذا ما ورد فى الشرع وجاء فى القرآن والسُّنة، يسمع ما لا نسمع ويرى ما لا نرى ..

« روى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه مر بقبرين يعذبان فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز فى كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله : لم صنعت هذا ؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » .

فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى رُوحيهما تعذبان ، ولكن لو حفرنا لوجدنا الجسدين ؛ لأن العذاب والكلام للأرواح .

قال ابن القيم : « الأنبياء والمرسلون كالملائكة »(*).

وقد جانبه الصواب فى ذلك ؛ لأن الأنبياء والمرسلين بأجسادهم وأرواحهم أحياء يُصلُّون فى قبورهم .. وهذا ما قرره الحافظ السيوطى

(*) أى أنهم يكونون بعد موتهم كالملائكة .

صاحب « جمع الجوامع » ..

ولكن يمكن القول بأن الأولياء يكونون كالملائكة .. ولذلك حافظ الشرع على مقابر الأموات وأمر بالسلام عليهم ، وعدم الجلوس على مقابرهم ؛ لأن ذلك إهانة لهم ..

وإذا قال الإنسان : السلام عليك يا فلان، حضرت الروح ورَدَّت السلام .. أما الجسد فلا يسمع ولا يُبصر ..

عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال : « يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف ، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقًا ، فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله : كيف يسمعون وأنّى يحيبون وقد جيفُوا ، قال : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسُحِبُوا فأُلْقُوا فى قليبِ بدْر » رواه مسلم .

فى هذا الزمان لو قال رجل : يا رسول الله .. نجدهم يرمونه بالشرك ..

وقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى أن أمير المؤمنين سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دخل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل دفنه وقبله بين عينيه وقال : « بأبى أنت وأمى يا رسول الله لن يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبها الله

عليك فقد متّهـا » ..

وفى رواية غير البخارى أنه قال : « طبت حيًا وميتًا يا رسول الله » ..

وعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ » قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ؟ يقولون : بَلِيت ، فقال : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء » رواه أبو داود ..

ولذلك قال له الصِّدِّيق: «طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا يا رسول الله » وطالما أن الجسد موجود فيمكن إعادة الروح إليه، بخلاف باقى الموتى.

ولذا قال : صلى الله عليه وآله وسلم : « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » رواه البيهقى .. فالأنبياء أحياء وليسوا بأموات ..

وقد ورد أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لأبيها رضى الله تعالى عنه: يا أبت رأيت ثلاثة أقمار سقوطًا فى حجرتى.. فقال والدها : سيدفن فى غرفتك ثلاثة هم خير أهل الأرض . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها أبوها : يا عائشة: هذا أحد أقمارك الثلاثة وهو خيرهم . والبيت كان ملكًا لعائشة لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنى لأمهات المؤمنين كل واحدة بيتًا وللسيدة عائشة غرفتين دفن صلى الله عليه وآله وسلم فى حجرة

وكانت هى تسكن فى الأخرى فلما مات أبوها أذنت فى دفنه فى ملكها فى بيتها فدفن بجواره صلى الله عليه وآله وسلم..

ولما قُتِل سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه قال لابنه عبد الله انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها : يقرأ عمر عليك السلام ولا تقل لها أمير المؤمنين فإنى لست اليوم أميرًا وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفَن مع صاحبيه . فسلم واستأذن فوجدها قاعدة تبكى فقال: يقرأ عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه قالت: كنت أريده لنفسى ولأوثرن به اليوم على نفسى .. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال: ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال ما تحب . قد أذنت .. قال .. الحمد لله، ما كان شىء أهم إلىَّ من ذلك! .. وإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلّم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلونى وإن ردّتنى فردونى إلى مقابر المسلمين » رواه البخارى .

س : لم نتكلم عن الإسراء ؟

ج : الله تبارك وتعالى جمع الإسراء فى آية :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢٤) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي ﴾ أى : أنا الإله المقدس تنزَّه وتعالى أن يفعل مخلوق مثل فعلى ..

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ السُّرَى هو : السفر ليلاً ، ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ : سيدنا

(٢٤) سورة الإسراء : آية ١ .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يقل برسوله ؛ لأن مقام العبودية مقام عظيم ؛ لأنها تستلزم الرسالة والنبوة ؛ لأن مَنْ يقل أنا عبد الله يكرمه الله ..

﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ : الإضافة تخصيص وتشريف ..

فإذا قلت : هذا عبده ، عُلِم أنَّ له درجة مخصوصة ..

والمعنى سافر بعبده فى أى وقت فى جزء من الليل من المسجد الحرام (مكة) إلى المسجد الأقصى (الشام) .

س : لماذا لم يكن بالنهار ؟

ج : لأنه امتحان واختبار، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾(٢٥) ، ولو كان نهارًا لأسلموا جميعاً .. .

﴿ الأَقْصَا ﴾ أى : الأبعد الذى يسير الناس إليه شهورًا..

والحكمة من الإسراء حدَّدها الله تبارك وتعالى فى قوله: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ أى: أمورًا عجيبة ؛ ليزداد إيمانه بنا ، ويكون أقوى الناس إيماناً، فيقول لهم : آمنُوا بالله وقد رأيتُ الله تعالى ، آمنُوا بالملائكة وقد رأيْتُ الملائكة ، آمنُوا بالجنة وقد رأيتُ الجنة ، آمنُوا بالنار وقد رأيتُ النار ..

ولذا قالوا : الأقوى إيمانًا هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.. قال بعض العلماء : الضمير فى (إنه) راجع إلى الله تبارك وتعالى ، فهو يسمع دبيب النملة على الصخرة،

---

(٢٥) سورة البقرة : آية ٣ .

ويعلم ما فى بطون الأمهات ، وما فى البحار، ويعلم الخفيات كما يعلم الظاهر.

وقال بعض العلماء : الضمير يرجع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم: « السميع » : سمع كلام الله ، « البصير » : بصره شديد ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾(١) .

فكان صلى الله عليه وآله وسلم أقوى العباد سمعاً وبصراً..

وقد قامت السُّنة المطهرة بشرح الآية:

روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : « ليلة أُسرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفرٍ قبل أن يُوحَى إليه ، وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أوَّلُهُم : أيُّهم هو ؟ فقال أوسطهم: خَيْرهم .. فقال آخرهم : خُذُوا خَيْرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ـ وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ـ فلم يُكلِّمُوهُ حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاَّه منهم « جبريل » فشقَّ جبريل ما بين نحره إلى سرته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطِسْت من ذهب فيه نور من ذهب محشوٍ إيماناً وحكمة فَحشَا به صدرَه ولَغاديدَه ـ يعنى عروق حلْقِه ـ » .

وروى أحمد والترمذى عن أنس : « أُتِىَ بالبراق ليلة أسرى به مُسْرَجًا ملجمًا ليركبه ، فاستصعب عليه .. فقال له جبريل : ما

---

(٢٦) سورة النجم : آية ١٧ ، ١٨ .

يحملك على هذا فَوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه .. قال : فارفضَّ عرقًا .

قالت العلماء: لم يتحمل الأنوار المحمدية .. فركبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان الآخذ بركابه جبريل ، وبالزمام ميكائيل :

وفى سنن النسائى عن أنس: « .. فَسِرْتُ، فقال: انزِلْ فصَلِّ فصليتُ .. فقال: أتدرى أين صلَّيتَ؟ صلَّيْتَ بِطَيْبَة واليها المهاجرة. ثم انزِلْ فَصلِّ .. فصلَّيْتُ .. فقال: أتدرى أين صلَّيتَ؟ صلَّيْتَ بطور سيناء حيث كلَّم الله موسى .. ثم قال: انزِلْ فَصلِّ.. فصلَّيْتُ.. فقال: أتدرى أين صلَّيتَ؟ صلَّيْتَ ببيت لحم حيث وُلِدَ عيسى عليه السلام » ..

ويؤخذ من هذا جواز التبرُّك بآثار الأنبياء والمرسلين والصالحين واحترام أماكنهم ..

وفى حديث عند الطبرانى والبزار: «أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ..

فقال لجبريل عليه الصلاة والسلام : ما هذا ؟

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف ..

وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ..

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يُفتَّرُ عنهم من ذلك شىء..

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ..

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر، ولحم نيِّىء فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيِّىء الخبيث ويدعون النضيج ..

فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيِّباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح ..

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ..

فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ..

ثم أتى على قوم تُقْرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قُرِضَت عادَتْ كما كانت لا يُفتَّر عنهم من ذلك شىء ..

قال : من هذا يا جبريل ؟

قال : هؤلاء خطباء الفتنة..

قال : ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ..

فقال: ما هذا يا جبريل؟

قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردها » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لما عُرِج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ..

فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويَقَعُون فى أعراضهم » .

وأخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رأيت ليلة أُسرى بى رجلاً يسبح فى نهر يلقم بالحجارة. فسألت : مَنْ هذا؟ فقيل لى : هذا آكل الربا » .

وأخرج أحمد والنسائى والبزار والطبرانى والبيهقى وغيرهم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«ولما أُسْرِى بى مرَّتْ بى رائحة طيِّبة، فقلتُ: ما هذه الرائحة » .

قالوا : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط مشطها من يدها فقالت : بسم الله فقالت ابنة فرعون : أبى ؟

قالت : ربى هو ربك ورب أبيك ..

قالت : أوَ لكِ ربٌّ غير أبى ؟ قالت : نعم .

فدعاها فقال : ألكِ رب غيرى ؟!

قالت: نعم ، ربى وربك الله .

فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لِتُلْقَى فيها هى وأولادها فألقوا واحداً واحداً ، حتى بلغ رضيعاً فيهم . فقال :

قعى يا أُمَّه ولا تقاعسى فإنك على الحق ..

قال : وتكلم أربعة وهم صغار ، هذا ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج وعيسى بن مريم .

وفى رواية أبى سعيد عند البيهقى :

« دعانى داع عن يمينى : انْظِرْنِى أسألك ، فلم أُجِبْه .

ثم دعانى آخر عن يسارى كذلك فلم أُجِبْه » .. وفيه :

« إذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كلِّ زينة خلقها الله تعالى فقالت : يا محمد انْظِرْنِى أسألك .. فلم ألتفت إليها » .

وفيه : « أن جبريل قال له : أما الداعى الأول ، فهو داعى اليهود ولو أجبته لَتهوَّدت أمتك ..

وأما الثانى : فداعى النصارى ، ولو أجبته لَتنصَّرت أمتك ..

وأما المرأة : فالدنيا »

وروى ابن جرير عن أنس قال : « وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال : ما هذه يا جبريل ؟

قال : سِرْ يا محمد .. قال : فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شىء يدعوه متنحياً عن الطريق فقال : هلمَّ يا محمد ..

فقال له جبريل : سِرْ يا محمد .. فسار ما شاء الله أن يسير..

قال : فلقيه خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ..

فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد ، فردَّ السلام ..

ثم لقن الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللبن .. فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت وغويت أمتك ..

ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام ـ فأمَّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة ..

ثم قال له جبريل : أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقى من عمر تلك العجوز .

وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه .وأما الذين سلَّمُوا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل مَن معك ؟

قال: محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. قالوا: أوقد أرسل إليه ؟

قال : نعم ، قالوا: حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء .

ثم قام جبريل فأذَّن للصلاة ، وروى أبو أمامة عند الطبرانى :

« ثم أُقِيمَت الصلاة فتدافعوا حتَّى قدَّمُوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم » ..

وبعد ختام الصلاة ، أثنى كلُّ نبىٍّ ورسول على ربه ، ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :

« كلكم أثنى على ربه وإنى مُثْنٍ على ربى ، فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافَّة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علىَّ الفرقان فيه بيان لكل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أُخْرِجَت للناس ، وجعل أمتى أمة وسطاً ، وجعل أمتى هم الأولين وهم الآخرين ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحًا وخاتماً .. فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم » ..

قال: « ثم عرج بى إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل له: مَن أنت؟

قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ..

قيل : وقد أرسل إليه؟! قال : قد أرسل إليه ..

ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم فرحب بى ، ودعا لى بخير ..

ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له:مَن أنت

قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ..

قيل : وقد أرسل إليه ؟! قال : قد أرسل إليه ..

ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى، فرحبا بى ودعَوا

لى بخير..

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له : مَن أنت ؟

قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ..

قيل : وقد أرسل إليه ؟! قال : قد أرسل إليه ..

ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير » .

إذا كان سيدنا يوسف عليه السلام ـ قد أُعطى نصف الحسن ، فإن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قد أُعْطِىَ الحُسْن كلَّه .. النساء عشقت سيدنا يوسف عليه السلام وعنده نصف الحسن ، أما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا يستطيع أحد من الأنوار أن يُحد النظر إليه .. يقول البوصيرى رحمه الله :

كالشمس تظهر للعينيْن من بُعُدٍ

صغيرة وتكِلَّ الطَّرْف مِنْ أَمَمِ

قال: « ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل : مَنْ أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد .

فقيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : قد بُعِثَ اليه .. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ، فرحّب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل : مَنْ أنت؟ قال : جبريل . فقيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد

فقيل : وقد أرسل إليه ؟! قال : قد أرسل إليه ..

ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون فرحَّب بى ودعا لى بخير ..

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل . قيل : مَنْ أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد

فقيل : وقد بُعثِ إليه ؟! قال : قد بُعثِ إليه ..

ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحَّب بى ودعا لى بخير ..

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل . قيل : مَنْ أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد .

فقيل : وقد بُعثِ إليه ؟! قال : قد بُعثِ إليه ..

ففتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملَك ، ثم لا يعودون إليه » .

وفى رواية الترمذى وحسنه ، وابن مردويه من طريق عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لَقِيتُ إبراهيم ليلة أُسْرِى بى فقال : يامحمد ! أقرئ أُمتك منى السلام ، وأَخْبِرْهُم أن الجنة طيِّبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

قال : «ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة ،

وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيَّرت فما أحد من خَلْق الله يستطيع أن يصفها من حُسْنها » .

قيل : سُمِّيت سدرة المنتهى ؛ لأن الأمر الذى ينزل من العرش ينتهى إليها ، والأمر الذى يرتفع من الأرض ينتهى إليها ..

قال: « فأوحى الله إلىَّ ما أوحى ، وقد فرض علىَّ فى كلِّ يوم وليلة خمسين صلاة ..فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، قال : ما فرض ربك على أمتك؟ قلتُ: خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ..

قال: ارْجعْ إلى ربك ، فاسْأَلْهُ التخفيف لأمتك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .

قال: فرجعتُ إلى ربى فقلتُ : أىْ ربِّ خفِّفْ عن أمتى ، فَحَطَّ عنِّى خمسًا .. فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فعلت ؟

فقلتُ : حَطَّ عنى خمسًا .. فقال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فارْجعْ إلى ربك ، فاسأله التخفيف لأمتك .

قال: فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ، ويحطّ عنِّى خمسًا خمسًا حتى قال: يا محمد هُنَّ خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ، ومَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا ، ومَنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كُتِبتْ سيئة واحدة .

فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته . فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لقد رجعتُ إلى ربى

حتى استحييت » .

رواه مسلم بهذا السياق ، وروى نحوه البيهقى رحمه الله..

وكذلك الإمام أحمد رحمه الله ..

وفى رواية لابن جرير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه :

« قال : ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح ، فقيل : مَنْ هذا ؟ قال: جبريل. قيل : ومَنْ معك ؟ قال محمد.

قالوا : وقد أرسل إليه . قال : نعم . قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ونعم المجىء جاء..

قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسىّ وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم فى ألوانهم شىء فدخلوا نهرًا فاغتسلوا منه، فخرجوا وقد خلصوا من ألوانهم شىء ، ثم دخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا منه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء ، ثم دخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا منه .. فخرجوا وقد خلصت ألوانهم ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا وجلسوا إلى أصحابهم ..

فقال: يا جبريل من هذا الأشمط(*) ؟ ثم مَن هؤلاء البيض الوجوه؟ ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء؟ وما هذه الأنهار التى دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ؟!

قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقَوْمٌ لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين

(*) الأشمط : الذى اختلط بياض شعر رأسه بسواده .

فى ألوانهم شىء فقَوْمٌ خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فتاب الله عليهم وأما الأنهار فأولها رحمة الله ، والثانى : نعمة الله ، والثالث : سقاهم ربهم شرابًا طهورًا .

وقد ذكر العلماء أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى أنهارًا أربعة :

نهريْن ظاهريْن وهما النيل والفرات ، ونهريْن باطنيْن وهم فى الجنة .. ولكن اختلفوا : كيف نبع النيل من الجنة ؟

الحقيقة أنه نبع من الأرض ، وقد مكثتُ عشرين سنة ولم أعثر على الإجابة الشافية ، حتى جاء الأزهر رجل مغربى روى لنا :

« عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن الله تبارك وتعالى أمر جبريل عليه السلام أن يملأ قدحًا من الماء وأن يضعه فى منبع النيل ، فنبع الماء إلى يومنا هذا » ..

أى : أن أصلهما من الجنة ، وقد بارك الله فيهما ، وستبقى هذه البركة إلى يوم القيامة .. وفى الرواية نفسها قال :

« ثم انتهى إلى السدرة فقيل له : هذه السدرة ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ،وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه ، وأنهار من خَمْرٍ لذَّة للشاربين ، وأنهار من عَسَلٍ مُصَفّى ، وهى شجرة يسير الراكب فى ظلِّها سبعين عامًا لا يقطعها ، والورقة منها تغطى الأمة كلها .

قال : فغشيها نور الخلَّاق عزَّ وجلَّ وغشيتها الملائكة أمثال

الغربان حين يقعن على الشجرة من حب الله تعالى ..

قالوا: فكلّمهُ الله عند ذلك ، فقال له : سَلْ ..

فقال : «إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته مُلْكًا عظيماً ، وكلمت موسى تكليمًا ، وأعطيت داود مُلْكًا عظيماً وألنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكا وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الريح وأعطيت له مُلْكًا لا ينبغى لأحدٍ من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يُبرِئُ الأكمه والأبرص ويُحيى الموتى بإذنك ، وأعَذْتَهُ وأمه من الشيطان الرجيم لم يكن للشياطين عليهما سبيل .. فقال له الربُّ عزَّ وجلَّ : « وقد اتخذتك خليلاً ـ وهو مكتوب فى التوراة حبيب الرحمن ـ، وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا ، وشرحتُ لك صدرك ، ووضعتُ عنك وزرك ، ورفعتُ لك ذكرك فلا أُذْكَرَ إلا ذُكِرْتَ معى ، وجعلتُ أُمتك خير أمة أخرجت للناس.. ».

وذكرت الروايات أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. قد سار حتى رأى الجنة وخازنها رضوان عليه السلام ، وأنه قد فتح له أبوابها فرأى الحور العين ... وأنه رأى النار وخازنها مالكا عليه السلام ، ولمَّا لم يبتسم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل : ما بال جميع أهل السماء استبشروا بى إلا مالك ؟! فقال له : إن الله تعالى قد خلقه هكذا لم يضحك منذ خلقه ،ولوضحك لأحد لكنتَ أنت ...

وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾(٢٧) .

وفى بعض الروايات :

---

(٢٧) التحريم : آية ٦ .

ثم وصل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقام تأخر عنه جبريل، فقال له : ما شأنك أفى هذا المقام يترك الخليل خليله ؟!.

فقال جبريل : لو تقدمتُ خطوة لاحترقتُ من الأنوار .

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾(٢٨) .

وقد كان هذا قبل مشاهدته ورؤيته لربه تبارك وتعالى...

روى الطبرانى عن عكرمة عن أم هانىء رضى الله عنها قالت:

« بات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أُسْرِىَ به فى بيتى ففقدته من الليل فامتنع منى النَّوْم مخافة أن يكون عرَض له بعض قريش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن جبريل عليه السلام أتانى فأخذ بيدى فأخرجنى فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار، فحملنى عليها ثم انطلق حتى أتى بى إلى بيت المقدس فأرانى إبراهيم عليه السلام يشبه خَلْقه خَلْقى ويشبه خُلُقُه خُلُقى ، وأرانى موسى آدم طويلاً سبط الشعر شبهته برجال أزد شنوءة ، وأرانى عيسى ابن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفى ، وأرانى الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقَطَنَة بن عبد العزى ..

قال : وأنا أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت ، فأخذتُ بثوبه فقلت : إنى أذكرك الله إنك تأتى قومك يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك قالت: فضرب ثوبه من يدى، ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرنى ، فقام جبير

(٢٨) سورة الصافات : آية ١٦٤ .

ابن مطعم فقال : يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمتَ بما تكلمتَ به وأنت بين ظهرانينا ..

فقال رجل من القوم : يا محمد هل مررت بإبلِ لنا فى مكان كذا وكذا ؟

قال : نعم واللهِ قد وجدتهم قد أضلوا بعيرًا لهم فهم فى طلبه .

قال : هل مررتَ بإبلِ لبنى فلان؟ قال : نعم وجدتهم فى مكان كذا وكذا. وقد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها .

قالوا : فأخْبِرْنَا عدتها وما فيها من الرعاة؟

قال : قد كنتُ عن عدتها مشغولاً .

فقام فأتى بالإبل فعدَّهَا وعَلِمَ ما فيها من الرعاة ، ثم أتى قريشًا فقال لهم : سألتمونى عن إبل بنى فلان فهى كذا وكذا ، وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتمونى عن إبل بنى فلان فهى كذا وكذا ، وفيها من الرعاة ابن أبى قحافة وفلان وفلان وهى تصبحكم بالغداة على الثنية.

قال : فقعدوا على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال ، فاستقبلوا الإبل فسألوهم هل ضلَّ لكم بعير؟ فقالوا : نعم ..

فسألوا الآخر : هل انكسرت لكم ناقة حمراء؟ قالوا : نعم..

قالوا : فهل كانت عندكم قصعة؟ قال أبو بكر : أنا واللهِ وضعتها فما شربها أحد ولا أهراقوه فى الأرض ، فصدقه أبو بكر وآمن به

فسمى يومئذ الصِّدِّيق ، ..

وتصديق الصِّدِّيق له إنما كان لِسَبْق العناية ...

اللهم اجعلنا ممن آمنَ بالإسراء والمعراج وصدَّق بهما ..

(اهـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع والأربعون

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾(١).

هو رقيب ..ماذا يعنى أن الله رقيب؟ أى : يراقب كل مخلوق ليس الإنسان فقط.. لا ، ولكن يراقب كل خَلْق حتى النملة يعنى : لا يغفل عنها طرفة عين ..

والله رقيب أى: يرقب كل مخلوق ولا يسهو ولا يغيب ولا يغفل عن خَلْقه صغيراً أو كبيراً ..

من أغرب ما سمعت اليوم أن واحداً متكلماً فى الإذاعة يقول : بعض الكُتَّاب أنكر الهدهد ـ هُدْهُد سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ، قال : يمكن أن يكون الهدهد هذا رجلاً اسمه « الهدهد » كأنه يستبعد أن يخاطب سيدنا سليمانُ الطير ويخاطب النمل!! لماذا يستبعد؟ لأن الإيمان يريد قلباً تقِيًا نقيًا من الشرك برِيًا، لا جافياً ولا شقياً ..

قد آمنا بالله وبكل ماجاء من عند الله فيجب على العقل أن يقبل كل ماجاء سواء تصورً أم لم يتصور ..

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

فنرد عليه بأن الله تعالى قال فى حق سيدنا داود : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾(٢) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(٣) .

لأن الطير له صلاة وتسبيح ، تنكر هذا، وسيدنا سليمان يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٤) .

هل تنكر هذا؟ والطير هذا المخلوق هو الذى كان مسخراً لسيدنا سليمان عليه السلام، والهدهد هو الهدهد ؛ لأن هذا المسكين يتكلم بعقله وما علم أن كل مخلوق يؤمن بالله ما عدا الكفار من الإنس والجن وأما جميع المخلوقات من نمل ونحل وطير وحشرات فهى تعرف الله تعالى وتؤمن به ..

إذان فالكافر الذى لا يؤمن بالله لا يساوى نملة ، الرُّوس الذين ينكرون وجود الله لا يساوون نملة :﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾(٥) .

وهذا يعنى أن وادى النمل أفضل من مليون دولة روسية ؛ لأن الكافر بالله لا يساوى شيئاً ، وفى كل زمان يجب على المسلمين أن يجتمعوا وأن يبلغوا الدعوة بالسيف أو بالسلاح الموجود ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٦) .

فيجب علينا أن نبلغ الرسالة بما نستطيع .. فالبيان - مثلاً - قوة ، تُبيِّن للناس بالكلام وبالخطب وبالدعوة إلى الله تعالى - ولا نسكت عن الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى ملّك الكون له صلى

---

(٤) سورة النمل : آية ١٦ .

(٥) سورة النمل : آية ١٨ .

(٦) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

الله عليه وآله وسلم ولأمته المسلمة ، نسمى المسلمين أمة إجابة يعنى : أجابوا .. وما سواهم نسميهم أمة دعوة يعنى : يجب على المسلمين أن يدعوهم إلى الإسلام .. وهؤلاء هم غير المسلمين من اليهود والنصارى والشيوعيين .. وجميع ما على وجه الأرض أمة محمدية ، يعنى : أمة دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجب على المسلمين أن يدعوهم إلى الإسلام ..لا تأتى أمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن تكون أمة إجابة أو أمة دعوة .. كل العالم أمة ، فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآن موجوداً معنا لأرسل خطابات إلى الرُّوس وإلى الأمريكان وإلى فرنسا « من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم » كما كان يكتب الخطابات إلى الرؤساء والملوك الكبار؛ لأنه يجب على الرسول أن يبلغ الرسالة فى الخطابات ، وبالدعوة وبالسلاح . .

فكل ما على وجه الأرض هو أمة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : أمة إجابة وهم المسلمون ، والباقون يسمون أمة دعوة ..

والمسلمون فَهِموا أنهم يعيشون فى الأرض ليأكلوا ويشربوا ويبنوا ويسكنوا .. وهذا خطأ ، فأمة الإسلام تسمى أمة إجابة فتدعو إلى الله تعالى ما دامت حية ، ومَن مات منهم وعده الله تعالى بالشهادة ، ومن عاش منهم وعده بالسعادة ..

فما أرسل اللهُ النَّبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمة أكْل وشراب ونَوْم وتقاتُل على الأموال والأولاد .. كلا ، أرسله إلى أمة تجاهد فى سبيل الله، والجهاد باقٍ إلى يوم القيامة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(٧) . فظاظة وشدة ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٨) .

لم يبق فى الدنيا إلا النبى عليه الصلاة والسلام هو صاحب الرسالة الموجودة ، وهو صاحب الشرع ..

قال صاحب الجوهرة :

وخُصَّ خير الخلق أن قد تمما به الجميع رينا وعَمَّمَا
بعثتَه فشرعه لا يُنْسَخْ بغيره حتَّى الزمان يُنْسَخْ
ونَسْخُه لشرع غيره وقَعْ حَتْماً أذلَّ الله مَن لَهُ منَعْ

شرع النبى صلى الله عليه وآله وسلم نسخ جميع الشرائع ، فلا يهودية ولا نصرانية ولا شيوعية يُتعبَّد بها على وجه الأرض إلا الشريعة المحمدية ، إذ إن هذه الشرائع كلها منسوخة بالشريعة المحمدية .

واليهود والنصارى نتركهم ما داموا لنا مسالمين ، فالحكم لنا نحن نحكمهم ويخضعون لنا ، ولا يتفقون مع أعدائنا ولا يعملون خيانة فى البلد ، فإذا فعلوا ذلك فيجب على المسلمين عدم موالاتهم :

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ

(٧) سورة التوبة : آية ١٢٣ .
(٨) سورة الفتح : آية ٢٩ .

أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٩) .

لماذا نُحْسِن إلى النصارى ونعدل معهم؟ ترغيباً فى الدين ، إذا رأوْا منا المحاسن والخير والصلاح ربما أسلموا ؛ لأن مكارم الأخلاق تدعوهم إلى ديننا .. وما أكرمناهم ولا أقسطنا إليهم حُبًّا فيهم وفيما يفعلون!! لا .. فعلنا معهم ذلك ترغيبا ..

وقد أباح الله تزوُّجَ اليهودية والنصرانية رجاء أن تُسْلِم ، وقد حصل هذا كثيراً ، فكثير من النصارى أسلموا ..

ولا ننسى أن الله تعالى فرَّق بين اليهود والنصارى ، فقال سبحانه : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(١٠) .

فحكم الله أن أشدَّ النَّاس عداوة لنا اليهود ، وحكم على أن أقرب الأمم مودة لنا النصارى، ونحن نعامل أهل المودة بالمودة، ونعامل أهل العداوة بالعداوة ما لم يخضعوا ويسمعوا لنا ، إذا أرادوا الصلح نصطلح ، وإذا أرادوا العدل نعدل ، وأما اليهود والنصارى ، فإنهم إذا أرادوا بنا سُوءاً قاتلناهم ، وإذا اتفقوا مع أعدائنا علينا قاتلناهم ولكن ربنا يقول : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾(١١) . نصطلح معهم للمصالح.

نحن الآن أكبر دولة قاتلت اليهود فى تل أبيب « مصر » وأكثر

---

(٩) سورة الممتحنة : آية ٨ ، ٩ .

(١٠) سورة المائدة : آية ٨٢.

(١١) سورة النساء : آية ١٢٨ .

عدد مات من المسلمين المصريين.. لماذا؟ فى سبيل تحرير فلسطين.

وما تركنا جهْدا فى سبيل حرب اليهود .. وقال الشاعر :

إذا لم تستطعْ شَيْئاً فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إلَى ما تستطيـعُ

فنحن الآن حاربنا اليهود مرات لم نصل إليهم ، حينئذٍ نترك هذا ونأتى إلى طريق آخر وهو الصلح .. ما داموا يقولون : نعم ..

إذا قالوا : نعم ، خاطبناهم وتكلمنا معهم ، وأما إذا أعرضوا عنا أعرضنا عنهم ..

والآن والحمد لله ربنا سبحانه وتعالى ببركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم قَادَ اليهود فأصبحوا منقادين إلى مصر واعترفوا بنا بعد أن كانوا يرسلون إلينا طائرات وقنابل جاءت إلينا رجالها خاضعين معترفين بنا مقرين بقوتنا وبرئيسنا ، وفى ذلك إقرار بالإسلام..

والذين جاءوا إلينا ليتفاهموا معنا نحن بالعقل نتفاهم معهم؛ لأن الإسلام أولى بالصلح من اليهود ..

إذا قال اليهودى : يا مسلم قِفْ ..

نعم ! تعالَ : لأن الإسلام أهل للصلح وللنظر إلى المصالح ولعدم إراقة الدماء بغير فائدة ..

فالآن قدموا الخير فإنى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق آمال المسلمين آمين يا رب ..

إذا تَمَّ إعطاء أهل فلسطين دولة فلسطينية مسلمة تأخذ حكما فى بلادها فهذا من فضل الله ، وإذا تَمَّ رفع القتال والحرب فى الأرض

فهذا من فضل الله .. القتال إذا لم يأت بفائدة ننتقل إلى غيره .. ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة ، جاء فى الحديبية ومعه جيش ولقى الكفار فقال سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه : نقاتلهم ..

فَربُّ النبى عليه الصلاة والسلام منع ورجع المدينة وعمل صلحاً..

قالوا: كيف نصطلح؟ نقاتلهم .. ونزل القرآن، الله تعالى قال:

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(١٢) .

كأن المولى عز وجل يقول لهم : أنا كنت آمركم بالقتال ، ولكن فى مكة أناس مسلمون أنتم لا تعرفونهم ، فعندما تحاربونهم سوف تقتلونهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم .

والآن اليهود (إسرائيل) ففيها مسلمون من الفلسطينيين ، فلو أخذنا الدبابات والطائرات وهاجمنا تل أبيب لمات كثير من المسلمين والمسلمات من حيث لا نعلم ..

---

(١٢) سورة الفتح : ٢٤ ، ٢٥ .

فالله سبحانه وتعالى منع مقاتلة أهل مكة .. هل لأنهم أكثر؟ كلا .. فإنه قادر ، ولكنه قال : إن هناك ناساً يعرفوننى وأنا أغار على من يعرفنى، هناك مسلمون فى مكة أنتم لا تعرفونهم ، يا عمر: لو قاتلتم أهل مكة سوف تقتلونهم ، وهذا عندى شىء مشين أن تقتلوا مسلمين ينتسبون إلى الله بالإسلام ..

كذلك نحن الآن لو أخذنا قنابل وطائرات ودخلنا تل أبيب فيها آلاف من الفلسطينيين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونحن لا نعلم ..

• وماذا نفعـل ؟

ندبر طريقة لحفظ دماء المسلمين.. نعم!! أرض فلسطين تُقسَّم إلى قسمين: قسم للفلسطينيين ، وقسم لليهود..

نعمل حكومة مسلمة، لكن لا نعزل المسلمين من أراضيهم عن آبائهم وأجدادهم ..

المسلمون فى غزة ، والمسلمون الذين تحت اليهود يعيشون معهم بشرط أن يعدل اليهود فى حكمهم ، ونحن إذا كان عندنا يهود فى مملكتنا نعدل معهم ليس المعنى أن نجعل الفلسطينيين يخرجون من أراضيهم وبيوتهم .

ولا اليهود يخرجون ، إنما يخرج المقاتل ، وأما الساكن الوطنى الذى أصله فلسطينى يبقى فى وطنه ..

وأما نحن فى المستقبل إن شاء الله سنعمل على إخراج كل يهودى جاء من خارج أرض فلسطين الذين جاءوا من روسيا والذين

جاءوا من أمريكا، هؤلاء إن شاء الله فى المستقبل بقدرة الله نخرجهم ويبقى اليهودى الوطنى القديم ، اليهودى المزارع التاجر يبقى معنا فى أرضه وسوف يأتى زمان تكون الدولة مسلمة كلها ، واليهود الغرباء يرجعون إلى أوطانهم ، واليهود الذين كانوا معنا من الأول يبقون معنا محفوظين محترمين لأن الإسلام يحفظ للكافر كلّ حقوقه ، لو جاء الكافر ببضاعة فالأمير يضمنه ولا يتعرض له أحد بسوء ، يبيع فى بلادنا ويأخذ ماله ، ويرجع إلى بلاده ثانية ؛ لأن الإسلام مصدر العدالة ، ومصدر الأمن دين الله فإن شاء الله تقرأون معى الفاتحة على أن فلسطين يكون مآلها هكذا ..

الفاتحـــة!!

الشيوعيون كفار لا يؤمنون بالله تعالى ولا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. فهم أعداء الله تعالى بل أشد أعدائه ، ومَنْ والاهم عاداه الله تعالى ، ويكفى الإنسان خزياً فى الدنيا أن يكون الله تعالى عدوًا له ..

الكفر لا يجعل من روسيا دولة عظيمة إلا عند المجانين ؛ لأن من ينكر وجود الله لا يكون عظيماً .. فالله هو الأعظم وهو الأكبر..

ونسأل الله أن ينصر الإسلام على الشيوعيين ، وأن يخرج الشيوعيين من بلاد المسلمين .. نحن لا ندعو ملَكاً من الملوك ، ولا رئيساً من الرؤساء ، إنما نحن نكلم ملك الملوك الأكبر.

اللهم يارب أخْرِجْ الشيوعيين من بلاد المسلمين .. اللهم يا رب اجْمَعْ كلمة المسلمين .. اللهم يا رب اهْدِ المسلمين بعضهم على بعض

.. اللهم يا رب وفق المسلمين للهداية ..

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ الله يقول هذا .. ولا تنازعوا يا مسلمين فتفشلوا .. أموركم لا تنقضى ..

﴿ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[١٣]. أى : قوتكم .. أما إذا اتفقتم فتنجحون وتزدادون قوة ..

وهكذا فنحن أمام أمرين : إما أن نتنازع فيكون الفشل وعدم النجاح والضعف ، وإما أن نتفق فتنجح مساعينا ونزداد قوة ..

هذا مفهوم الآية ومنطوقها .. والكون كله يمشى وفق ما قرره القرآن ؛ لأن الذى خلق الأكوان هو الذى أنزل القرآن .. فالكون لا يخالف ما فى القرآن ..

أيها المسلمون : الله يقول : إذا تنازعتم تفشلون وتذهب ريحكم هذا الكلام لا يتخلف أبداً ، ولا بد أن يتحقق .. ومَن ظنَّ أنه لا يتحقق فقد كفر.. فإن الله هو رب الأكوان، والأكوان لا تخالف ربها.

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ من آلاف وملايين السنين لم تتخلف هذه الأشياء .. البحر موجود من قبل أبينا آدم .. والسمك موجود إلى الآن وإلى يوم القيامة.

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾[١٤]. من زمن أبينا آدم إلى الآن والفلك والقوارب تجرى فى البحر ..

---

(١٣) سورة الأنفال : ٤٦ . (١٤) سورة النحل : ١٤ .

(سخر) كأن المولى قد كلّم البحر، يا بحر!!

- لبيك يا رب ..
- احفظ السمك ..
- لمن ؟
- لآدم وذريته لكى يأكلوا منه .

فاستجاب البحر ؛ لأن الكون كله مسخر لأمر الله .

- يا نحل ! لبيك يا رب !
- خذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ثم أَخْرِجى للناس عسلاً فيه شفاء للناس ..

هل حدث هذا كما أمر الله أو لم يحدث؟ بل حدث وهو مستمر إلى يوم القيامة .. هذه الأوامر صدرت فى أول ما خلق الله الملك ..

النحل هذا مخلوق ، زنان ، صغير، وقد سمع كلام الله تعالى فالذى لا يسمع كلام الله تعالى لا يساوى ، زنانة ، :

﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾(١٥) ..

قال العلماء : من أراد أن يصل إلى الشفاء فلا بد من النية القلبية بأن يصدق ما قاله الله أولاً ..

ثانياً: ينوى الشفاء بقلب سليم ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(١٦) من غير شك ..

---

(١٥) سورة النحل : ٦٩.

(١٦) سورة الشعراء ٨٩.

أما إذا تردد وشكّ فى الشفاء فلا يحصل له الشفاء..

اسْمَعْ كلامى هذا .. ائت بالعسل معتقداً فيه أنه شفاء ـ كما قال الله تعالى والله تعالى لا يكذب ومن شك فى قوله فقد كفر ..

ـ اعتقد بقلبك واشربه بنية الاستفادة والاستشفاء ..

لا لأجل الأكل ، ولا لأجل السمنة.

ثالثا : أنه خاص يشفى البطون وله شفاء للعين وفى باقى الجسم ولكن البطون أخص (فيه شفاء للناس) من البطون يخرج من النحل ، أما العسل السكر فهو كالدم عسل فى الدم فقط ..

قالوا: ولا بد أن يكون خارجاً من النحل ، لا بدّ أن يكون عسلاً حقيقياً ، هذه «روشتة» إلهية ، إياك أن تشك فيها أو تهملها ، إياك أن تحضر عسلاً مغشوشاً لا ينفع ، هات عسلاً من الخلايا ، بسم الله اعتقدت يا رب فى كلامك أن العسل شفاء بسم الله نويت بهذا العسل الشفاء، إن شاء الله تجد كلامى هذا حقاً ، وشيخنا الشنقيطى رحمه الله حدد وقال : أنا أعتقد فى القرآن ، فى يوم من الأيام كنت نازلاً من السلم وأصبعى الكبير هذا حصل فيه ألم، قال : فأتيت بالعسل فى منديل وربطته وقلت نويت الشفاء فشفانى الله..

فهؤلاء المشايخ لهم فى الله عقيدة عظيمة ..

سيدنا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى فى حقه ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[١٧] . عندما حملوه على المنجنيق

---

(١٧) سورة الأنبياء : ٦٩ .

.. لم يصرخ .. لماذا ؟ لأنه يعتقد أن النار لا تحرقه .. لماذا .. هل تكلم؟ .. لا هو لم يتكلم ، لكنه عارف بأن ربنا لا يحرقه بالنار .. فالإنسان إذا كان تقياً لا يخاف ، إذا أنت كنت تخاف من الله فلا تخف من شيء وكن مطمئناً به تجد منه مثل معاملتك معه وزيادة ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(١٨) . أما النار فجاء جبريل فيها قال : يا إبراهيم: هل لك من حاجة؟ قال: أنت ترانى يا جبريل .. نحن مخلوقون من عدم ـ الرضا هو رضاء الله علينا .. ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾(١٩) هل نحن كذلك؟

لا .. من منا يقوم طول الليل قائماً ساجداً؟ لا أحد.. نعم.. أنت تطلب الرضوان الأكبر.. إذن فقدم شيئاً أكبر.. فالذى يقدم الثمين يلقى الثمين .. أنت طوال الليل تصلى وتتهجد لنفسك ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٢٠) . كذلك أنت طول الليل .. تتجافى: الجفوة ماذا تعنى؟ تعنى أنهم يكرهون السرير ويجفون عنه ويتركونه ويجلسون ليقرأوا القرآن، أو يصلوا ، ماذا يريدون ؟ هم يريدون رضاء الله .. نعم .. الله يرضى عليهم فكأنه يقول : الذى يأتى بشيء زائد فى العبادة أنا أعطيه الرضا الزائد ، كل من أكثر من العبادات الغالية فأنا أكثر له من الثواب ، والحسنة بعشر أمثالها ..

---

(١٨) سورة يونس : آية ٢٦ .
(١٩) سورة الزمر : ٩
(٢٠) سورة السجدة : ١٦ .

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ الذين يؤدون الفرائض يقومون ولا ينامون الليل كله وعندما يسمعون (حى على الصلاة) يقومون للصلاة .. أما إذا لم يسمعوا الأذان فعلى قدر الرضا يأتى الرضا .. مثلاً تعطى إنساناً هدية .. هو لم يعتمد على هذه الهدية التى أعطيتها له ، أنت تقدم له مثلاً خروفاً .. لا يعطيك خروفاً ولكنه يمكن أن يعطيك جملاً ، فالكرام هكذا فما بالك بأكرم الأكرمين ..

إياك أن تصدق أنك تفعل مع الله خيراً وتلقى خيراً مثله فقط فهو القائل سبحانه ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٢١] ﴿ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٢٢] إذا قدمت لله فاعتقد بأنك تقدم إلى أكرم الأكرمين .. واعتقد أن الجزاء مضاعف، النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك)[٢٣] . أى احفظ أوامر الله ونواهيه ، فمعنى : احفظ على حذف مضاف يعنى احفظ أوامر الله ، احفظ نواهى الله ، الأمر الذى أمرك به إياك أن تضيعه ، والشىء الذى نهاك عنه إياك أن تفعله ، وماذا يحدث بعد ذلك ؟ قال : يحفظْك ، ما دمت حفظت الأوامر والنواهى ، يحفظك من مصائب الدنيا والآخرة .. الدنيا ملأى بالمصائب ، والآخرة كذلك ، فيحفظك من بلاء الدنيا .. شىء تراه وشىء لا تراه .. الشياطين لا تراها ، والميكروبات لا تراها .. وترى الأسد والنمر والضبع والعقرب والثعبان .. هذه كلها مصائب فإذا حفظت الله تعالى حفظك الله تعالى منها .

---

(٢١) سورة الأنعام : آية ١٦٠ .
(٢٢) سورة البقرة : آية ٢٦١ .
(٢٣) رواه الإمام أحمد والترمذى وغيرهما .

أمرك لم تأتمر ، ونهاك لم تنته .. ماذا يفعل معك ؟ يا رب ادفع عنى .. لما قال لك : أقم الصلاة .

يا رب اصرف عنى الأعداء .. إذا أنت لم تفعل الواجبات وفعلت الحرام تكون عدواً لله .الشيطان عدوّ لمن؟ للمسلمين جميعاً ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(٢٤) .

إذن فالعدو هو الشيطان والشيطان ليس وحده وإنما معه ملايين من أولاده ، ما صنعتهم ؟ ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(٢٥) . ولكن أنت فى غفلة من هذا الكلام الحق؛ لأنك لا تعرفه ، فالمرأة عندما تكون عن يمينك أو عن شمالك فهى من حبائل الشيطان إذ يوجد شيطان على ثدييها وشيطان على أليتها ينادى كالبائع الذى يُدَلِّلُ على السلعة، أنت لا ترى﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾يا سلام! ﴿ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فالمرأة تكون أمامك وأنت وراءها فى الأتوبيس، فى الترماى، احترس لا تنس! إياك أن تقول جاءت منك يا أتوبيس، لا ، هذا امتحان ، لا تنس نفسك بأنك ممتحن ، ولك ثواب على الجهاد لنفسك الأمارة بالسوء..

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(٢٦) .

الله تعالى يقول للمؤمن : أغمض عينك ولا تنظر فهذا أمرى..

---

(٢٤) سورة فاطر : آية ٦.
(٢٥) سورة الأعراف : آية ١٧.
(٢٦) سورة النور : آية ٣٠

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

لأن النظر يؤدى إلى الزنا ، فربنا نهى عن النظر ، ثم عطف عليه وقال: ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ لأن الذى يغض طرفه لا يقع فى الزنا ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(٢٧) . كذلك النساء مأمورات بغض البصر كالرجال سواء بسواء قال الشاعر:

والمـــرء ما دام ذا عـينٍ يقلبهـا

فى أعين الغير موقوف على الخطر

يسر مُقلته مـــا ضـــر مهجتـــه

لا مرحبـاً بسرور عاد بالضـــرر

كل الحوادث مبدأها من النظـــــر

ومعظم النار من مستصغر الشـــرر

فانظر إلى نارك يا من ترضى بالشرر ، شرارة تحدث حريقاً، نظرة صغيرة تحدث أثراً فى القلب والعقل .. تنام طوال الليل وتفكر فيما رأيت وتقول كما قال الصعيدى : (شهر مالكش فيه يوم لا تعد أيامـه) وهذا خطأ شنيع .. أنت تنظر لها وأنت لا تملك منها شيئاً ، لأنها محرمة عليك حتى تتزوجها إن كانت بغير زوج..

والنساء فى الشوارع أنواع : هذه امرأة وزير ، هذه بنت وزير ، هذه بنت باشا ، هذه بنت العمدة ، وأنت تنظر لهذه وهذه ... أنت إذن القط أعلم منك لماذا؟ قال: القطة التى فى البيت نظرت إلى أهل

---

(٢٧) سورة النور : آية ٣١ .

المنزل فوجدتهم يضعون اللحمة فى مكان عالٍ جاءت تنظر إليها وهى تعرف أنها لا تدركها ، جاءت قطة الجيران سألت القطة التى فى البيت عن طعام ثم جلست تنظر إلى اللحمة ، فالقطة التى فى البيت قالت لها : هذه لحمة منتنة لا تنظرى إليها لأنك لا تأخذين شيئاً منها كذلك من يمشى فى الشارع لماذا يؤلم قلبه وينظر لبنات الناس! : لماذا ؟ هل تدرك شيئاً؟ لماذا إذن تنظر؟ أليس لك عقل تفكر به ؟ القطة قالت على قطعة اللحم إنها متعفنة لأنها تعلم أنها لا تدركها بسهولة ولكن لو أنزلوها تهجم عليها ونحن على الأقل نفعل مثل القط ... لا ينظر إلى ما لا يدركه ، فالذى ينظر لا يساوى قطاً ، والعجيب أنه يهتم بثيابه ومنظره ويقوم بفتح عينيه هكذا حتى ينظر بعناية .. يا سلام .. ياسلام .. ربنا يتوب على المسلمين ويهديهم، لا يعرفون عظمة ربنا الذى قال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[٢٨] . الخلق لايعرفون عظمة الله ، لا يقدرونه حق التقدير ، وما قدروا الله حق قدره .. الله عظيم .. عظيم ..

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[٢٩] يا سلام على هذه العظمة! الأرض هذه كلها الخمس قارات أو أكثر كقبضته لشىء يسير ، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات عن يمين العرش، عبادى لم يقدرونى ولم يعرفوا عظمتى، لا يعرفون ما عندى من نعم للمتقين، ولا يعرفون ما عندى من عذاب أليم ..

(٢٨، ٢٩) سورة الزمر ٦٧.

فلماذا ينظر الناظر إلى النساء ؟ لأنه لم يقدر الله حق قدره .. يزنى ويسرق لماذا؟ لأنه لا يعرف الله تعالى ، جاهل بالله تعالى ، إسلامه على ورق فقط، لا إله إلا الله يقولها لا يعرف معناها . أنت تقول لا إله إلا الله ماذا تعنى بها . لا إله إلا الله أى إنه عظيم فلماذا تنسى العظمة ؟ إياك أن تفتح عينيك فى الحرام ؟ إياك أن تحرك لسانك فى الحرام! لماذا خلق لك العينين؟ خلق لك العينين حتى تستطيع أن ترى بهما ما يحل لك . فالذى خلق لك عيناً تنظر بها هو يراك أيضا ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾(٣٠) . أبو جهل قال : محمد عليه الصلاة والسلام لو ذهب وسجد مرة أخرى عند الكعبة أنا أضع قدمى على رقبته. ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾(٣١) . كيف يضع قدمه عليه وأنا أراه ، ذهب أبو جهل فلما اقترب من النبى عليه الصلاة والسلام رأى جملاً يهجم عليه فاتحاً فمه ، ورأى الزبانية تحمل النار ، فرجع إلى بيته يرتعش ، فقال له أصحابه : يا أبا الحكم يا رئيسنا ما الذى جرى؟ ! قال : اسكتوا فقد رأيت أهوالاً عند محمد ، فهو لم يقدر على أن يفعل شيئاً؛ لأن الله تعالى يقول : أنا أراك وأرى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كيف أتركك تضع قدمك على الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ؟ رجل من العرب قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أنا لى عند أبى جهل مال ولا يريد أن يعطينى إياه وأنا جعلتك وكيلا عنى ، فذهب النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت أبى جهل وطرق حلقة الباب

(٣٠) سورة العلق : آية ١٤ .
(٣١) سورة العلق : الآيات ٩ ـ ١٤ .

ففتح أبو جهل الباب ، فقال له : أعط هذا حقه ، ففتح أبو جهل عينيه فوجد جملاً فاتحاً فمه يريد أن يأكله ، قال له : سمعاً وطاعة يا محمد .. ودخل البيت وأحضر المال وأعطاه للرجل .. وهذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام ..

فربنا خلق لنا العيون حتى نتذكر أن الله يرى ، وخلق لك السمع حتى تتذكر أنه السميع ، إياك أن تتكلم كلمة ثم تقول هو لم يسمعها ، تكفر .. من تكلم كلمة واحدة وظن أن ربنا لم يسمعها كفر، كذلك من ظنَّ أن الكلمة التى فى القلب ربنا لم يسمعها كفر ، ليس التى على اللسان فقط ، عندما نفسك تحدك بشىء وظننت أن ربنا سبحانه وتعالى لم يسمعك كفرت؛ لأنه يعلم السِّرَّ وأخفى ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾(٣٢) . فما تحدثك به نفسك أن تفعله غداً فالله سبحانه وتعالى يعلمه فى هذا الوقت ، فهو سامع لما يدور فى نفسك ويعلم ما ستفعله غداً .. ففكر واحْتَرِسْ إذا كان لديك كلام تُبَيِّتُه للغد : ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾(٣٣) . ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٣٤) .

أنت مُغَطًّى باللحاف ونفسك تقول لك كلاماً ، فالله يقول لك :

أنا أسمعك وأراك ، وإن كنت لا تعلم هذا فأنت مغفل ، فيجب أن تعتقد أن الله يراك وأنت تحت لحافك ، وإذا قلبك حدثك بأى كلام فيجب عليك أن تعلم أن الله يعلمه ويسمعه .. هل ترى قلبك؟! بالله عليك هل ترى قلبك؟ هل تسمع كلام قلبك إذا حدثك ؟! أنا لا أسمع

---

(٣٢) سورة طه : آية ٧ (٣٣) سورة النساء : آية ١٠٨

(٣٤) سورة هود : آية ٥ .

كلام قلبى فهل تسمعه أنت ؟! ألا تخاف ممن يرى قلبك ؟! يرى قلبك وأنت لا تراه ، ويسمع كلام قلبك وأنت لا تسمعه .. هذا إله عظيم ... إياك أن تنسى الله ، فراقبه ولا تَنْسَهُ فتضيع.

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾(٣٥) . فارقبه دائما ولا تنسه ..

صَاح شَمِّر ولا تَزَلْ ذاكر المو ت فنسيانه ضلالٌ مبين

الذين يخافون الموت ليسوا بأقوياء .. لماذا ؟.

فقد ذهب رجل من طلاب العلم فى جامع البصرة إلى عالم فى المسجد وهو يرتعش قال: ما لك؟ قال له يا سيدى أنا خائف من الموت. قال له: لا تخف من الموت.. الموت مخلوق مثلك.. خف من الله.. أنت تخاف من العدم.. إنسان يقول : أنا خائف من الظلام.. أنت فى الظلام.. خائف من ماذا؟ قال : خائف من العفريت.. هل رأيت عفريتاً ظهر فأخذ رجلاً إلى المحكمة ؟ تخاف من ابن آدم؛ يضربك ويأخذ محفظتك .. فلا تخف من العفريت ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.﴾(٣٦) . فلا بد أن تعرف أنه يسمع ويرى .. والنتيجة ماذا؟ هى معرفة الله تعالى ..

اللهم صلِّ عليه اللهم صلِّ عليه

ذلك الفضل من الله ذلك الفضل لربى

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

(٣٥) سورة الشعراء : آية ٧٨ ـ ٨٠ .

(٣٦) سورة الأعراف : آية ٢٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثامن والأربعون

مهجتى قد نلت كل الأرب هذه أنوار طه العربى
هذه أنواره قد ظهرت وبدت من خلف تلك الحجب
أبشرى يا نفس هذا المصطفى خاتم الرسل خيار العرب
اسكبى الدمع حلالا فعلى غيره دمع الهنا لم يسكب
انظرى يا نفس هذا المصطفى بثى شكواك له وانتحبى

* * *

يا رسول الله إنى مذنب ومن الجود قبول المذنب
يا رسول الله أدرك سيّدى نفس سوء فى الهوى تلعب بى

الفاتحة للشيخ الأزهرى الشبراوى رضى الله تعالى عنه :

العارفون إذا زاروا النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا درجات ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ﴾[1] . كل ومنزلته عند ربه ، كل واحد بدرجته ومنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..

الله ...

الشيخ الرفاعى مد له النبى صلى الله عليه وآله وسلم يده

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٦٣ .

الشريفة وقبلها لما وقف وأنشد بلسان الحال والمقال :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلهـا

تقبل الأرض عنّى وهى نـــائبتى

وهذه دولة الأشباح قـد حضـــرت

فامدد يمينك كى تحظى بها شفـتى

فأخرج له النبى صلى الله عليه وآله وسلم يده فقبلها ..

قال الحافظ السيوطى: وممن حضر هذه الكرامة السيد عبد القادر الجيلانى ، إذ توافق حضوره فى الروضة الشريفة .

أنت فـى الدنيـا محـال أن تـرى الله ، وإذا دخـل العبد الجنـة رأى ربه ..

قال سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه :

إن كان منزلتى فى الحـب عندكـــم

ما قد رأيت فقد ضيعت أيامـــــى

أمنية ظفرت روحى بهـا زمنـــا

واليوم أحسبهـــا أضغاث أحـــلام

قال : أتمنى عند طلوع الروح رؤية الحق سبحانه وتعالى .. أين من يتذوق هذا الكلام ؟! .. لا يوجد..

ولـــو علمت بأن الحب آخره هذا الحِمَام لما خالفت لوّامى

كلام طيب يعرفه أهله ..

لو فُرض أن بعض الناس لا يعرف شيئًا عن السُّكَر لكن حين يذاب ويسقى له يتذوقه ويدرك حلاوته ، لأنه يملك الذوق الذى يفرق بين السُّكَّر والملح.

فلما أحضروا السكر وأذابوه أعطوه وشرب قال : الله .. هذا شراب حلو .. كذلك كلام الصوفية مثل السكر لا يتذوقه إلا من له روح تنتعش عند سماع هذا الكلام ..

اللهم أنعشنا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم .. اللهم أغثنا بإمداداتك وأمددنا بإرشاداتك ، ونورنا بأنوارك ، ومتعنا بأسرارك ، وقربنا من رسول الله فى الدنيا والآخرة ، وقربنا من أهل بيته الكرام ومن أوليائك الصالحين ..

معنى «المدد» على حسب حال المطلوب منه، فلو أن رجلا يقرأ علما وقال له بعض الناس: مدد يا سيدى الشيخ، كان المعنى: أسمعنا من علمك، ولو أن رجلا كان جالسا يدعو الله وقلت له: «مدد» كان المعنى : أعطنى دعوة مقبولة، ولو أن رجلا كان يأكل فاكهة وقلت له : « مدد» كان المعنى أعطنى بعض الفاكهة ، ولعل فى هذا إجابة لمن يسأل عن معنى كلمة « مدد» بما ينفى عن قائلها الإثم والشرك الذى يرمى به .. لماذا؟! ..

لأن العلماء قالوا : الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، أى لا تحكم على شىء حتى تعرف حقيقته تمام المعرفة ، ثم تحكم عليه..

فلو أنك رأيت مثلا رجلا وامرأة فى غرفة فلا تسارع بسوء الظن والحكم حتى تتأكد من صلة القرابة بينهما ، فربما كانت المرأة

أمه أو زوجته أو بنته أو عمته أو بنت أخته فلا تكون الخلوة بها حراما حينئذ ، فمسائل العلم تحتاج إلى تأن وفحص .

فكلمة « مدد » معناها: طلب العطاء ، وتفسر على حسب حال المطلوب منه .. فإن كان المطلوب منه المدد فى حال طيب كانت كلمة « مدد » حلالاً، كما إذا قيلت لعالم يدرّس أو ولى يدعو ربه أو صاحب طعام أو ذى مال كريم ..

أما إذا قيلت كلمة « مدد» لرجل ممسك بزجاجة خمر يشرب منها أو قيلت لأناس مجتمعين على شرب الحشيش ، أو على زنا ونحوهم ، كانت الكلمة حينئذ حرام .

والخلاصة : أن كلمة « مدد » إن طُلب بها شىء حلال كانت حلالا، وإن طُلب بها شىء حرام كانت حراما ..

سؤال : ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«إذا سألت فاسأل الله »أليس المعنى أن الإنسان لا يسأل إلا الله ، ولا يسأل البشر ؟

الجواب : أنت إذا حضر موعد الطعام تسأل أمك أو زوجتك الطعام؟ أم تدخل الغرفة وتسأل الله الطعام؟ تقول يا رب هات لى « الغداء » أم تقول يا فلانة هاتى الغداء؟

سؤال : ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا سألت فاسأل الله ..

الجواب : أنا كلمتك بلسان العوام، وفى اللغة الفصحى ، بل

فى أفصح كلام ، قال الله عز وجل ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ وفى هذا جواز أن يسأل المخلوقُ مخلوقا مثله ، وقال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] فأباح سؤال المخلوق المتعلم للمخلوق العالم ، وربنا قال عن ذى القرنين ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[٣] . وهذا الملك الصالح قد طلب العون من رعيته المخلوقين .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾[٤] فأباح لنا التعاون كأن يطلب مسلم من أخيه أن يعاونه ويقرضه مالا ينتفع به ، فهذا جائز أم لا ؟.. الجواب: جائز ..

ولا يفهم هذا الكلام ونظائره إلا بالعلم.. كما ورد فى الحديث[٥] : « يا فاطمة بنت محمد: أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملكُ لك منَ اللهِ شيْئًا ،على معنى آمنى فإن الكافر لا تنفعه شفاعة الأنبياء ، قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[٦] . ثم إن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها على نهج المثل: « إياك أعنى واسمعى يا جارة » لمخاطبة نساء قريش اللاتى لم يزلن على الكفر ، وكأن لسان حالها قال : أنا مسلمة مؤمنة . وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنى أتكلم معك لأجل غيرك .. افهمى يا فاطمة الإسلام فهما صحيحا .. أنا أنفعك إن أسلمت وآمنت ، لكن إذا كفرت فلا أنفعك فى شىء ..

---

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧ .
(٣) سورة الكهف : آية ٩٥ .
(٤) سورة المائدة : آية ٢ .
(٥) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى وابن مردويه.
(٦) سورة المدثر : آية٤٨ .

قال الله تعالى عن الملائكة : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٧] . فالملائكة عندهم شفاعة ، لكنهم لا يشفعون إلا للمؤمنين ..

وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٨] . حملة العرش ومن حوله يستغفرون لمن؟ للمؤمنين . قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[٩] . يعنى : عنده شفاعة لكن بإذنه تعالى..

وأما حديث: « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله »[١٠] . فقد قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى زمن الجاهلية ، وكأنه أوصى ابن عباس بألا يفعل مثل الكفار فيذهب إلى اللات والعزى والأصنام التى يعبدونها من دون الله.

أى : إذا سألت فاسأل الله ، ولا تسأل اللات والعزى ..

والعزى : صنم فيه جنى حين يأتى إليه إنسان يرحب به ويقول له : اذهب فتصدق بكذا ، واقرأ كذا ، فاجتمع عليه العرب ، وقال الجهلاء إنه إله ..

وهذا ما حدث من قوم سيدنا موسى عليه السلام لما سمعوا خوار عجل السامرى المصنوع من الذهب فقالوا: ﴿ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾[١١] . نسى موسى إلهه فذهب يبحث عنه .

وكان العزى ينطق ويقول لبعض العرب : يا فلان ارجع بيتك

---

(٧) سورة الأنبياء : آية ٢٨ .
(٨) سورة غافر : آية ٧.
(٩) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .
(١٠) رواه الترمذى .
(١١) سورة طه : آية ٨٨ .

سوف تجد خمسة ضيوف من قبيلة كذا ، فيرجع داره فيجد ما أخبر به العزى صحيحا فتكون الفتنة ..

كما كان الجن يسترق السمع من الملائكة وهم بالأحقاف ، فيأخذ الكلمة وينزل بها على الكاهن فيلقيها للناس والذين يجتمعون على الكفر .. كان ذلك قبل مجيء النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان مصرحا للجن باستراق السمع ، والحديث من باطن الحجر ، وغير ذلك مما كان سببا فى عبادة الأصنام ..

وقد وصف النبى صلى الله عليه وآله وسلم الشياطين بأن لهم تسلطا على ابن آدم ، يلعبون به ، بعد أن يصعدوا إلى حيث يسترقون السمع فيعرفون بعض الأسرار وينزلون على الكهان ، ويتكلمون بأخبار غيبية ، ثم يدخلون فى الأصنام ويحدثون جار الصنم عند حضوره : أهلا يا فلان ، سوف يحصل لك كذا وكذا من الأخبار التى استرقها ، قال تعالى على لسان الجن: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾(١٢) .

الجن تقول : كنا نسمع الغيب من السماء ، وبعد بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم انقطع عنهم هذا السمع ، وأصبح محلا للرجم بالشهب المرصودة ، فتساءل الجن : ماذا جرى للدنيا ؟ هل هو خير لأهلها أم شر؟ نحن كنا نسمع ونصعد وننزل .. ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾(١٣) .

الدنيا فى أعين الجن صغيرة ، فاجتمع رؤساؤهم ، وأمروا

---

(١٢) سورة الجن : آية ٩ .

(١٣) سورة الجن : آية ٨ .

بإرسال من يبحث لهم عن الجديد فى الأرض ، فذهب هؤلاء ولقوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا منه القرآن : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾(١٤) . ولما رجعوا قالوا لهم نحن عرفنا السبب ، لقد بعث نبى يقرأ القرآن : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾(١٥) . أى ازدحموا عليه لكى يسمعوا القرآن ، فرجع من سمع إلى بقية الجن يحذرونهم من الصعود إلى السماء واستراق السمع بعد هذا المنع .

بقى بعد ذلك الأصنام التى تتلبس بها الشياطين فتتكلم ..

وهذه قد قام النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتحطيمها كلها ، منها صنم اسمه « العُزَّى » حطَّمه سيدنا خالد بن الوليد يوم فتح مكة بأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن طمأنه بأنه لن يمسه سوء ، وأخبره بأنه سوف تخرج من الصنم « جِنِّيَّةٌ » وأمره بضربها .. فلما ضرب خالد الصنم خرجت جنِّيَّة سوداء عريانة طويلة لها شعر ، ووضعت يدها على رأسها ، تقول : « وَامصيبتاه » فضربها بالسيف فى وسطها فقطعها نصفين .. وبهذا قضت بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الأصْنَام ، ولم يبْق إلا القرآن والنبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى حذَّر من عبادة الأوثان .

قال عليه الصلاة والسلام(١٦) . : « وإنى والله ، ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها» .

---

(١٤) سورة الأحقاف : آية ٢٩ .

(١٥) سورة الجن : آية ١٩

(١٦) رواه البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر .

والشرك كما فسَّره النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ مع الله إلهًا آخر .. قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾(١٧) . أى :غير الله .. والإله الذى يعتقد فيه الإنسان أنه الخالق ، وأنه الرازق .. فلذلك وجبت عبادته ، والأمة الإسلامية الآن تعبد الله وحده .. ولم يحدث لها مثلما حدث لبنى إسرائيل الذين عبدوا العجل الذى له خوار .. والخُوَار: صوت البقر .. والنبى صلى الله عليه وآله وسلم طمأننا فقال :« وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها » .

أى: لا أخاف عليكم أن تعبدوا الأصنام وتشركوا ؛ لأن العقول قد تنورت ، ولكنى أخاف عليكم من الدنيا أن تكثر أموالها معكم فتشغلوا بها عن الصلاة وتمنعوا الزكاة ..

وإذا سألت أحد عوام المسلمين عن التوحيد يُخبرك بأنه يعتقد بأن الله واحدٌ لا شريك له ، ويقول لك : إن سيدنا الحسين أُمُّهُ السيدة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمه السيدة آمنة بنت وهب .. وليس فى عوام المسلمين من يقول : إن سيدنا محمدًا ابن الله ؟! ..

وكما قال الشيخ الباقورى : هذا من فضل الله حيث إن الأمة الإسلامية ليس فيها من يعتقد أن سيدنا محمدًا ابن الله كما اعتقدت النصارى فى نَبِيِّهِمْ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾(١٨) .

---

(١٧) سورة يس : آية ٧٤ .

(١٨) سورة التوبة : آية ٣٠ .

والمسلمون إلى الآن يقولون: إن محمدًا رسول الله، ويقولون عن الله: رب القرآن ، ورب العزة، وربّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم.

أما حديث: « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستَعِنْ بالله »

فقد قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مقام نَفْى الألوهية عن غير الله ، أى : مَنْ أراد أن يستعين بإله فلا يستعين إلا بالله .. لا يستعين باللات ولا العُزّى .. وإذا سألت أحدًا على أنه إله فلا تسأل إلا الله.. بدليل أن ذا القرنين قال: ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ لأنه مؤمن يتكلم مع مؤمنين.. فلا حرج ..

والله عزّ وجلّ قال : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ أى: تعاونوا مع بعضكم على أنكم عباد ، ولا تتعاونوا على أنكم آلهة ..

إذا قال بعض الناس لغيره : يا فلان أعِنّى : اعتقد أنه رب أو إله؟! هو قال له : يا فلان !!

وربنا أباح التعاون فقال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾.

أى: أهل العلم وغيرهم من ذوى المعرفة ..

لو سألك بعض الناس : أين الطريق؟ أو سألت بعضهم : علّمْنى صنعة كذا فلا حرج فى ذلك .. لكن إذا سألت السؤال الإلهى بالخضوع فلا تسأل إلا الله ، تسأله المغفرة والرحمة ..

الأمة .. مَنْ يملكها؟ الله .. والروح .. مَن يملكها؟ الله .. ولمن أمْر الخلق يوم القيامة؟ لله.. مَن يبعثنى من قبرى؟ الله.. لكنك إذا طلبت من أُمّك طعام الغذاء.. فهل يُعَدُّ ذلك حرامًا ؛ لكونك سألت

غير الله ؟!

إن الله فى القرآن كله لم يأمر بشكر أحد معه إلا الوالدين فقال: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[١٩] . اشْكُرْ لى لأنى خلقتك ، واشْكُرْ لوالديْك لأنهم سبب وُجُودك .. وشُكْر والديكم بأن تكسوهم وتطعموهم وتسكنوهم إذا كانوا فى حاجة إلى ذلك .. فكل شُكْر وله معنى ..

والنبى صلى الله عليه وآله وسلم لا ينفع الكافر ولو كان قريباً له .. وهو القائل لأحب الناس إليه : « يا فاطمة : أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لك من الله شيئاً » .

وكأنه عليه الصلاة والسلام يقول لها : اشْتَرى نفسك من الله يا فاطمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[٢٠] .

أى : كونى مسلمة مؤمنة لأن الذى لا يؤمن فإنى لا أغنى عنه من الله شيئاً .. لكن إذا كنتِ مؤمنة فأنا أنفعك: أنفعك فى الدنيا فأوفر لكِ ما تطلبينه من الطعام والكساء ، ويوم القيامة أشفع لكِ..

حيث أجمع العلماء على أن الشفيع يوم القيامة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. لكنه يشفع للمؤمنين الموحدين .. أما الذين كفروا والعياذ بالله فلا شفاعة لهم ..

قال عليه الصلاة والسلام[٢١] :« دعوتى شفاعتى ادخرتها لأهل الكبائر من أمتى » .

---

(١٩) سورة لقمان : آية ١٤ .
(٢٠) سورة التوبة : آية ١١١ .
(٢١) رواه الترمذى وأبو داود ..

لأن الإيمان عظيم.. فإذا قلت : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاعتقدت أن الله واحد ، وأن محمداً رسوله ، فهذه نعمة عظيمة تفتح لك باب كل خير ..

المؤمن إذا أذنب واستغفر ربنا يغفر له.. والإيمان فضل من الله والحمد لله فكلكم مؤمنون ، وقد ولدنا فوجدنا آباءَنَا وأمهاتنا يشهدون بأن الله واحد وأن النبىَّ رسولُهُ وأن القرآن من عنده ..

والإيمان أفضل من العمل ، وهو الذى عليه المدار كله ..

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلاً على سرية كان يقرأ لأصحابه فى صلاته..﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

فلما رجع ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : سَلُوهُ لأى شىءٍ يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ..

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أخبروه أن الله يحبه»(٢٢).

انظر بدل العقوبة جاءت البشرى ، ظنَّ الصحابة أنه خالف فاشتكوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه لم يُطِل فى القراءة فى صلاة الصبح كما هو السُّنة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يحكم عليه قبل أن يسمع رأيه ، فلما سمع حكم عليه بما فى قلبه من الحب ولم يكتف بعمله الظاهر ..

---

(٢٢) رواه البخارى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع والأربعون

فى تفسير قول الحق تبارك و تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(١) .

جاء رجل إلى أحد الصالحين فقال له : إن كنت متوكلاً على الله كما تزعم فألق بنفسك من فوق هذا السطح !!

فرد عليه : « يا جهول ، إن الله تعالى خلق العباد ليختبرهم لا ليختبروه » .. فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لأمور كثيرة ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢) .

ومعنى قوله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ أى : ولنختبرنكم ..

الله تعالى يُعطى الإنسان شيئاً حلواً ليختبره ، ويعطيه شيئاً مُرًّا ليختبره .. وعلى العاقل أن يفكر : هل هو عبدٌ للنعم أو عبدٌ لله ؟..

---

(١) سورة البقرة / ١٥٥ : ١٥٧ . (٢) سورة الذاريات / ٥٦ .

فإن كان يفرح بالنعم فهو عبدٌ لها ، وإن كان عبداً لله فإنها لا تؤثر فيه حلوة أو مرة ..

بل عليه إن كان الحكم حُلْواً أو مُرًّا أن يذكر الحاكم ..

لك يا رب فى كل فعلٍ حكمة !!

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾(٣) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾(٤) ..

لا بد للإنسان فى هذه الحياة أن تحصل له أشياء: تارة فى طاعة ، وتارة فى معصية ، فالله تبارك وتعالى ما عصم إلا الرسل عليهم السلام ، وأما من عداهم فهذا شأنه : (اللهم اجْعَلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءُوا استغفروا)(٥) .

فالعبد عليه أن يقول « الحمد لله » إذا أطاع ، أو عصى ..

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾(٦) .

ابن عطاء الله رحمه الله يقول: « من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل » كأنه رضى الله عنه يقول : نحن الصوفية نعرف الإنسان ونختبره إن كان رجاؤه متعلقاً بالله تعالى أو بغيره .. كيف ؟

قال : إذا كان فى طاعة وقلبه فَرِحٌ بالله تعالى ، وهو راج

---

(٣) سورة المؤمنون /١١٥ (٤) سورة الأنبياء / ١٦ .

(٥) رواه ابن ماجه . (٦) سورة الزمر /٥٣

رحمة ربه فإن حصلت له معصية فيئس فهو ناقص الإيمان ؛ إنه حينئذ يكون معتمداً على عمله وليس معتمداً على ربه ..

فنقصان الرجاء عند وجود الزلل من دلائل الاعتماد على العمل وماذا يعمل الإنسان يا ابن عطاء الله؟ ..

مثلا هو يسير فى زحام ، فإذا وقع فى حفرة ، قام ومشى وحمد الله تعالى فهو يسير فى طريق الله ويرجو رحمة الله ، لا يفكر فيما يحدث له : لماذا وقعت فى الطين ؟ لماذا مرضت؟ لماذا كذا لماذا كذا؟

أنا فَرِحٌ بك أنت يا رب .. معرفتى بك عندى خير من الدنيا وما فيها ..

إن كنتُ غنياً فلا أسأل ! أو فقيراً فلا أسأل ! مات الوالد فلا أسأل! لأنك قلتَ لى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾(٧) .

غيرى من بنى آدم يعبد البقر ويُشْرك ، وأنت عرفتنى بك ، فلك الحمد يا رب ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾(٨) .

الفرح يفنى ويأتى المرض ، والمرض يفنى ويأتى الفرح ، والشباب يفنى وتأتى الشيخوخة ، والشيخوخة تفنى ويأتى الموت ، والخلود فى الجنة أو فى النار ..

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ أي : فى الدنيا ..

فالإنسان فى الدنيا دائماً يفكر فى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ..

---

(٧) سورة الرحمن /٢٦ . (٨) سورة النجم /٤٣ .

يا بُنَىَّ : إذا أغضبك شىءٌ أو أحزنك فلا تهتم به ، سيأتى يوم إما أن تفارقه ، وإما أن يفارقك .. وهذا كلام حقيقى ..

فإذا أحببتَ صاحباً يبقى معك دائماً طوال مدة الدنيا وما بعدها فهو الله وحده،لا تجعل لك مصاحباً فى الدنيا يصاحبك إلا الله تعالى.

كان معك فى البطن وحدك ، وأخرجك إلى الدنيا وحدك ، ويحييك فى الدنيا وحدك ، ويميتك فى يومك وحدك ، وتدفن فى القبر وحدك ، فما لك والناس؟ ! تنام الأعينُ عنك وهو لا ينام ، إذا ما دعوتَهُ لبَّاك !!

يا سلام! المؤمنون الصالحون يعتمدون على الله، لا على الأعمال والأموال ..

هل أنت لو فعلتَ ذنباً تغضب مع الله! لا .. وإنما تغضب مع نفسك؛ لأنه أمرك بالطاعة ، وبالتوبة إذا أحدثتَ ذنباً..

﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٩) .

﴿ فَبِذَلِكَ﴾ أى : بالقرآن ـ عند أهل الظاهر ـ ، وبمعرفة الله عند أهل التصوف .. ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الدنيا : الجاه ، والذرية ، والترف والنعيم ..

وهذه الأشياء تَفْنَى ، لكن الله دائمٌ لا يفنى ..

يقول المغربى : « إن طال الليل فلا بد من الفجر ، وإن طال العمر فلا بد من القبر » ..

---

(٩) سورة يونس / ٥٨.

[مَنْ عاش كَبَرْ ، ومَن كَبر قُبِرْ]

فلا بد للإنسان من الموت .. فإذا خرج من الدنيا فلا يلقى أحداً إلا الله تعالى ، وملائكته عند الممات يقولون له: أبْشِرْ بخير .. ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

ثم يُذْهَبُ به إلى القبر فيغنيه الله عن الطعام والشراب ، ويجعل الله له القبر رَوْضَةً يَعْرِفُ فيه أخبار الدنيا، ويتنعم فيه..

لأن الأموات أشدُّ إدراكاً من الأحياء .. فإن كان لك أخ قد مات وهو من المسلمين الناجين الطيِّبين فهو يعرف جميع أخبارك ..

* والدى كان معى دائماً فى المستشفى ـ وكنت مريضاً ـ وقد جاءنى قبل الظهر فى المنام ، وهو يحمل الخُفَّ الذى ألبسه فى الأزهر.. ففهمت أنه يطلب منى المجىء إليه ..

على الرغم من أن الدكتور أمرنى بعدم الخروج لمدة يبقى على انتهائها ستة أيام وكانت المدة التى مكثتها فى المستشفى خمسة عشر يوماً تقريباً ..

يا سلام ! مَنْ ذَاقَ عرَف ..

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابِ القَوْمِ يدْرِيهِ

وَمَنْ دَرَاهُ غَدَا بِالرُّوحِ يَشْرِيهِ

مَن ذاق طَعم الشراب لا يتراجع ..

---

(١٠) سورةالنحل / ٣٢.

قال : قلتُ خُذْ رُوحِى ، قال إن الرُّوح لِى ..

ولكن خلِّ نفسك تجدنى أقرب إليك من حبل الوريد

نحن عوام نؤمن بذلك ، وإن لم يكن لنا إحساس رُوحِىَ ذوقىَ بهذا القرب.. ولكنهم يعرفونه ، إذ قلوبهم تشعر به وتذوق الحلاوة، كما نشعر بها نحن حسية ..

* للهِ فِى الكَوْنِ أَسْرَارٌ تُرَى فِيهِ *

هذا الكون يعيش فيه الإنسان يأكل ويشرب ويتنعم ، أما القبر فليس فيه أكْلٌ ولا شَرَاب ..

عن العطاف بن خالد قال : « حدثتنى خالتى قالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء، وكانت لا تزال تأتيهم ، فنزلت عند « حمزة » فصليت ما شاء الله أن أصلى ، وما فى الوادى داع ولا مجيب إلا غلاماً قائما آخذاً برأس دابتى .. فلما فرغت من صلاتى قلت: هكذا بيدى : السلام عليك .. قالت : فسمعتُ ردَّ السلام علىَ يخرج من تحتِ أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقنى ، وكما أعرف الليل والنهار ، فاقشعرت كل شعرة منى »(١١).

هذا فى الحديث الصحيح ، فالمرأة شدَّت الرحل لزيارة سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، ولكن يقول ابن تيمية : إن شدَّ الرحل حرام لزيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

وقد قال الحافظ ابن حجر: « قد غلط ابن تيمية غلطاً فاحشاً ».

وكان الحافظ ابن حجر أعلم أهل زمانه فى علم الحديث، وقد

(١١) رواه ابن أبى الدنيا ، ونقله عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله ..

قام بشرح صحيح البخارى شرحاً لم يسبق له مثيل، وألّف كتاباً سمّاه « الإصابة فى تمييز الصحابة » لم يترك فيه صحابياً واحداً إلا تكلم عنه وترجم له ..

هل فعل ابن تيمية مثل هذا؟!

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتَ مُغَرِّباً شَتَّانَ بَيْنَ مُشَـــرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

هل ابن تيمية مثل هذا ؟!

مَن يحب الوَرْد يمشى إليه باحثاً عنه.. أما الجماعة المزيفون الزائغون فلهم مؤلفات وكتب مَن يريدها فليبحث عنها .

«شبيه الشىء مُنجذِبٌ إليه » .. «إن الطيور على أشكالها تَقَعُ » .

الناس تقول : ابن تيمية ؛ لأن قلوبهم لها زَيغ ..

« سيدنا عِمران بن الحصين» ـ اللّهُمَّ عَافِنَا واعْفُ عَنَّا ـ عند ذكره يُسْتَجاب الدعاء ، مرض مرضاً شديداً ـ كان به استسقاء فى بطنه ومكث على سريره ثلاثين سنة كاملة ، سطيحا لا يقوم ولا يقعد ، قد نقب له على سرير من جريد ، وكان تحته نقب لغائطه وبوله ، فدخل عليه أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكى بجواره ، فسأله : ما يبكيك يا أخى؟ قال : لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة ، قال له : لا تبك فإنى أحب ما أحبه الله عز وجل .. ثم قال : ألا أحدثك بشىء لعل الله تعالى ـ ينفعك به ، واكتم على حتى أموت ، إن الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم علىّ فأسمع تسليمها.

ولما كووه بالنار شُفِى ، ولكن امتنعت عنه زيارة الملائكة ؛ لأن

الكيّ بالنار مكروه ، ثم رجعت إليه بعد ذلك (*).

فالله تعالى لا يترك أحداً، فما بالك بالصالحين ..

قصـــة:

هناك أولياء محترفون يسعون على أرزاقهم بجَهْد وتعب :

(فيحكى) أن رجلاً من الصالحين كان يقوم بجمع الحطب من الجبل ليبيعه ، تزوج هذا الرجل من امرأة شريرة ـ ابتلاء من الله ـ ، وكان عندما يدخل البيت تسبه وتدعو عليه ..

وفى يوم من الأيام جمع الحطب ، فجاءه أسد ووقف أمامه ، فقام بحمل الحطب عليه ، وأخذه إلى بيته ثم أنزل حطبه من فوقه وفارقه الأسد ، .. وكان يحدث هذا كل يوم ..

ثم جاءه صاحب له يزوره ، فقال لزوجته: أين فلان زَوْجك؟ فقامت زوجته بسبه والدعاء عليه .. ثم قالت له : لقد ذهب لإحضار الحطب من الجبل ، وإن كنت تريد الغذاء فلا طعام عندنا .. فجلس صاحبه تحت شجرة على التراب ينتظره ، فلما جاء صاحبه رأى الأسد يحمل الحطب ، ثم دخل معه البيت وسمع السبّ والدعاء من زوجته ، وأكل وسار ..

وبعد مدة من الزمان ماتت تلك المرأة ، وتزوج هذا الرجل من امرأة أخرى ، فجاءه هذا الصاحب : أين فلان ؟

فرحبت به تلك المرأة ، وأعطته حصيرة وتمراً وماءً، فأكل

(*) ينظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى والمستدرك للحاكم.

وشرب ثم رأى صاحبه من بُعْد يحمل حزمة الحطب على رأسه ، والعرق يتصبَّب منه .. فقامت إليه زوجته : مرحباً وأهلاً ، ومسحت العرق ، وصارت تدعو له : قوَّاك الله وعافاك . وبارك لنا فيك ..

ثم قام إليه صاحبه وقال له: كان الأسد يحمل عنك الحطب فماذا حدث؟ فردَّ عليه قائلا: إنَّ الله لا يجمع للعبد بين راحتيْن يا أخى ، الآن عندى ما يفرحنى ويخفف عنِّى حملى وتعبى ويمسح عرقى ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١٢) .

فانظر وفكِّر ـ يا ابن آدم ـ فى معاملة الله لك ! هو قريبٌ منك وأنت لا تدرى! أعمالك تظهر نتائجها قبل أن تدخل الجنة ..

الإنسان يلبس ثيابه ويتطهَّر ويتطيَّب، ثم يذهب إلى المسجد ليصلى ، والملائكة حوله ، وما دام جالساً فى المسجد فالملائكة تدعو له: تقول: «اللهم اغْفِرْ له، اللهم ارحمه »(*) حتى يخرج من المسجد.

كلنا الآن كذلك !! ودعاء الملائكة مستجاب..

فالذى يمشى فى موكب السعادة تفوح عليه روائح السعادة..

رائحة جهنم منتنة ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾(١٢) .

مثل رجل يصلى ويتعبد ويكره أهل البيت رضى الله تعالى عنهم، فوجهه عليه غبرة؛ لأن كراهة أهل البيت من أعظم صفات أهل جهنم كذلك الذى يكره زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويتعبد

---

(١٢) سورة الكهف / ٤٩ .

(١٣) سورة عبس / ٤٠ .

(*) رواه البخارى.

ويصلى ، لا يزداد بهذا من الله تعالى إلا بُعْداً ..

وقد نفى عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان : « لا يؤمن أحدكم حتى تكون ذاتى أحب إليه من ذاته ، وعترتى أحب إليه من عترته »(١٤) .

وقال : « ألا لا إيمان لمن لا محبة له » ..

وقال : « أُذكّركم الله فى أهل بيتى »(١٥) . وكررها ثلاثاً ..

قولوا : « نعوذ بالله » ... هذا بلاء من أكبر البلايا ..

فالله تعالى لا ينسى أحداً أبداً ، ولو كان غافلاً عنه .. قال سيدى الشيخ الميرغنى :

لا تنسه ينساك من إحسانه فالذكر مشكورٌ ولو من غافل

لماذا ؟

يقول ابن عطاء الله رحمه الله معللا ذلك :

« لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز » ..

ربنا يغار علينا ! قال صلى الله عليه وآله وسلم : «لا أحد أغير من الله »(١٦) .

---

(١٤) رواه الطبرانى فى الكبير بنحوه . (١٥) رواه مسلم . (١٦) رواه البخارى.

ولذا حرَّم سبحانه وتعالى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ..

الإنسان ما دام قد ذاق العسل ترك البصل ..

ولولا السلاطين والأولياء لَضِعْنَا .. وهم يخرجون إلى الدنيا.

حدث وأنا فى بلدى ـ وكان سِنِّى خمسة وعشرين عاماً ـ ، وكانت لدىَّ شجاعة ، جاء رجل وأراد أن يتزوج أخت زوجتى ، واشتغلت معه بأمره ..

فرأيت سيدى الشيخ الميرغنى ، وقد جاءنى من الخارج ، مرتدياً ثَوْباً أبيض يترنم بقوله من قصيدة له طويلة :

لا تَنْسَهُ ينساك من إحسانه فالذكر مشكور ولو من غافل

رأيته بعينىْ رأسى وأنا فى دنقلة وهو مدفون هنا فى مصر..

كان يوجد خليفة حاكم بالإسكندرية ، وكان الوقت ليلاً شديد الظلام وأُطلقت المدافع ، فرأيتُ ضابطاً فى شكل السيد سر الختم الميرغنى يفرقع بأصبعيه الوسطى والإبهام ويقول : يا خليفة فلان الطريق من هنا ، وكان فى هذا الوقت ميتاً رضى الله تعالى عنه .. ولكن صوته وكلامه ذكرنى بسرّ الختم رحمه الله ..

يوجد أناس يقولون التصوف لعب .. فهل الأولياء لعبة ؟!

هذا هو الإنكار ..

أخرج الحسن بن سفيان فى مسنده وأبو يعلى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم عن أم أيمن قالت : « قام النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من

الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها فلما أصبح أخبرته فضحك وقال : « إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا أبداً ».

وفى البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا تنخم نخامة سقطت فى كف أحدهم فيدلك بها وجهه وجلده، وإذا توضأ كادوا أن يقتتلوا على وَضوئه ..

قال الشيخ أحمد القسطلانى رحمه الله شارح البخارى : يفعلون ذلك تبركاً بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم..

قال القاضى عياض : « رئى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما واضعاً يده على مقعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه » ..

وبعد هذا نجد أناساً يقولون : التبرك شِرْك .. وكفر ..

هل الكفر أو الشرك لعبة ؟!

أناس يقولون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله، ويصلون ويتصدقون هل يكونون كفاراً .. مشركين ؟!!

النُحاس ما شأنه! إنه تبرك بسيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه فنحن نتبرك بالنحاس لأنه جاور الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه.

مَنْ هو سيدنا الحسين ؟! إنه ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. فلا يوجد فى مصر ابن نبى إلا هو رضى الله تعالى عنه .

عن على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه قال : « لما وُلِدَ الحسين سميتُهُ حرباً فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

أرُونِى ابنى ما سمَّيتمُوه؟ قلنا: حرباً . قال: بل هو حسين »[١٨].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَن سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على »[١٩].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الحسن والحسين هما ريحانتاى من الدنيا ». أخرجه الترمذى وقال : حديث صحيح.

يوجد أناس يقولون : اعبد ربك تكن مثل سيدنا الحسين؟!

هؤلاء كذَّابون! ومَنْ قال هذا فهو كذَّاب! هل تكون أمك السيدة فاطمة الزهراء؟ لا ! هل أبوك سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه؟! هل جدُّك سيدنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟!

هل نالها سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه بالعبادة ؟

كلا.. بل نالها بكونه ابناً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « حسين منى وأنا من حسين »[٢٠].. هل أنت تكون هكذا ؟!!

وأخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيد الزهراء رضى الله عنها وقال : « هذه فاطمة بنت محمد من لم يعرفها فليعرفها ، فاطمة بضعة منِّى من أغضبها فقد أغضبنى »[٢١].

هل أنت إن عبدت ربك تكون مثل هذه ؟!

وقد قال له «ألا ترَضيْن أن تكونِى سيدةَ نِسَاءِ المؤمنين أو سيدةَ

---

(١٨) رواه أحمد والبزار والطبرانى . (١٩) رواه أبو يعلى .

(٢٠) رواه الترمذى ومالك فى الموطأ وابن ماجه . (٢١) رواه مسلم .

نساءِ هذه الأمة »[٢٢].

يعنى من سيدنا آدم إلى يوم القيامة .. وأما السيدة مريم فهى سيدة أهل زمانها.

وقد جعل ابنىْ السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها سيِّدى شباب أهل الجنة الله جعل حلقتين فى العرش يضيئان كالقمر، فقالت الجنة:

« لقد زينت العرش بالحلقتين فما زينتى؟ قال لها : زيَّنتك بالحسن والحسين » .

هذا هو السبب فى أنهما سيِّدَا شباب أهل الجنة ، والسبب فى أن فى باب مقامه حلقتين رضى الله تعالى عنه هو أنه كان فى باب حلقة من حديد مَن يأتى يطرقها فيفتحون له الباب، وكان هذا الباب كبيراً .

جاءه أعرابى فقير من الجبل وأمسك الحلقة وأنشد هذه الأبيات:

لم يخبِ الآن مِن رجائك من ... حرَّك مِن دون بَابكَ الحلقَـهْ

أنت جـواد وأنت معتمَـدٌ ... أبوك ملَكٌ وقاتِـلُ الفسقَـهْ

لولا الذى كان مـن أوائلكـم ... كانت علينا الجحيم مُنطبقـهْ

وقد كان رضى الله تعالى عنه كثير النوافل ، فلما فرغ من الصلاة فتح الباب ، وأجلس الرجل بجواره ، ثم نادى على غلامه ، يا غلام : ائتنى بالصُرَّة من الصندوق ـ وكان فيها النفقة من بيت المال ـ.. فجاء بها الغلام ..

---

(٢٢) رواه مسلم .

ظنَّ الأعرابىُّ أن الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه سوف يفتحها ويعطيه منها بعض الدنانير.. فلما دفعها إليه كلها قال الأعرابى: والله، أنا أشهد أنك ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والله لا يفعل هذا الفعل ولا يُعطِى هذا العطاء إلا رجلٌ من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

الشيخ الشنقيطى مفتى مكة (مغربى) قال عن هذه الأبيات :

قرأتُ هذه الأبيات ، وقد كنتُ أُدَرِّس لأولادى على حواشى ابن هشام فى النحو أن بعض العرب يجزمون بـ (لن) ، فتذكرتُ فى نفسى أنَّ سيدنا الحسين شهيد وحىَ وكيف كلم الأعرابىَّ وأعطاه هذا العطاء فى حياته ، وهو الآن حىٌّ فى مقامه .. فدخلتُ المقام وأمسكتُ الحلقة ، وقلتُ هذه الأبيات ..

ثم قلتُ يا مولاى ، أنا ممنوع من السفر وأُريد أن أُسافر إلى مكة ، وكنتُ مع تلميذ لى سائرين فى الضحى ـ كان الشيخ الشنقيطى يزور مولانا الحسين رضى الله تعالى عنه فى الضحى ـ ، فقابلنى رجل يرتدى « بالطو » وطربوشاً ومسبحة قال لى : يا شيخ ليس فى هذا الوقت !!

قلتُ له : إيش الذى ليس فى هذا الوقت ؟!

قال : السفر .. قلتُ : إلى متى ؟ قال : بعد شهر .. وبعد شهر وأنا فى هذا المكان قابلنى وقال: توكل على الله.. حان موعد السفر.

ثم ذهبتُ إلى الرئيس البريطانى فى مصر وقلتُ له : أنا مسافر إلى مكة وبلغنى أن الطريق عندكم : فقال : اذْهَبْ وائْتِنَا بجواز سفر

.. فقلتُ : وفَّق الله ..

وكان الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى مصر ، صديقاً لى، فقلت له : أُسافر إلى مكة بإذن الله ..

فقال لى: لا بد أن تعرفنى السر الذى سافرت به فأنتم يا مغاربة لكم أسرار ..

فقلتُ له : واللهِ ما سافرتُ إلا ببركة سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه ، وقصصتُ عليه القصة بالنصّ .. اهـ

هذا كلام شيخ كبير مُحدِّث ، ونرى بعد هذا أناساً يقولون : الزيارة حرام ، وقد حضرتُ عليه خمسة عشر عاماً يدرس لى..

نحن نتَّبع كبار العلماء والأولياء ، ورينا يتجاوز عن المحبين والزائرين لهم من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ..

وقد حدث لى مثل هذا .. ذهبت إلى مولانا الحسين رضى الله تعالى عنه بعد صلاة الظهر، فسلمتُ عليه ثم قلتُ : كيف أُمنَع من الحج وأنت موجود فى مصر؟ مَن يحكم عليك أنت ؟!

فَنِمْتُ فوجدتُ سريراً كبيراً ، وكان عليه سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه نائماً ، وكانت يده عريضة ، وقف ثم تكلم ، فانتهزت الفرصة وقبَّلتُ يده ، فقال لى : أين وِرْدُك الجميل ؟!

وكنتُ أُحضِر له وِرْداً من البحرين .. فقلتُ: أنا مشغول وأُريد أن أزور جدَّك عليه الصلاة والسلام..

قال : أنت وصاحب النظارات ..

فقلتُ لإخوانى: أبشروا يا إخوان إن شاء الله سوف يسهل ربنا..

ثم جاء الصُّول إبراهيم من إخواننا فَرِحاً مسروراً فقال : واللهِ أنا قدَّمتُ للحج وفعلتُ وكذا وكذا ..

فقلتُ له: اذْهَبْ وقدِّم لى .. فقدِّم لى على أنه لم يسبق لى الحج من قِبَل الحكومة ..

ولكن الباخرة سارت ، وعملنا طلباً جديداً للطائرة ، وسافرت بها وركب الصُّول (صاحب النظارات) الباخرة ..

وأول ما وصلتُ المدينة ذهبت لأُسلِّم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ : السلام من سبطك سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه .. ثم السلام منِّى عليك ..

وقد وجدتُ الصُّول إبراهيم بعد ذلك هناك ..

إجابة فى نفس اليوم وفى نفس الساعة ..

كيف أُمنَع من الحج وأنت موجود ؟!

مُلُوكٌ ولكنَّ المُلُـــــوكَ عَبِيـدهُمْ

وعبدهمُ أضحى لهُ الكونُ خَادِمَا

* * *

* سيدى المرسى أبو العباس كان يخدمه سيدنا ياقوت العرش، مدَّ يده من إيران وأحضر الرجل ممسكاً ببغلته ..

أما المنكر فلا يستطيع أن يمد يده ليُحضِر ماعز !!

س ـ ما المراد بالصلاة البتراء ؟

ج ـ قيل : هى التى لم يُصَلَّ فيها على آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

وقد حدث أننى كنتُ أُؤلِّفُ كتابا ، وقد كَسِلَ الكاتب أن يَكتب (وعلى آله) فلما نام الكاتب رأى سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه يُقدِّم له تفاحة ويقول له : قل (وعلى آله) حتى أعطيك التفاحة . وفى آخر تأليف هذا الكتاب رأى الكتاب سيدى أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه يُمْلِي عليه المسودة وهو يكتب .. فقلتُ : ما دام السيد قد قرره فلا بأس .. وفرحت بذلك فرحا عظيما والحمد لله.

فالأولياء يعرفون الأحباب فى أى بلد كانوا..

* * *

سيدى عبد السلام الأسمر مدفون فى ليبيا ، جاءنى فى المنام وقال لى : لماذا لا تزورنا ..

فقلتُ : أخاف من كبار الأولياء هناك ..

فكسانى ثوباً ، فقلت : ما هذا؟ قال : ثوب الهيبة .

فاطمأنت نفسى .. فذهبت إلى السفارة الليبية هناك ، وسهّل الله أمر السفر، فذهبت وزرته رضى الله تعالى عنه ..

فأعطانى رجل هناك فى الكتبخانة كتابا فى تاريخ الشيخ لأطبعه فقلتُ : لعله دعانى لذلك .. وفعلا طبعته ووزعته .

بسم الله الرحمن الرحيم

الـــدرس الخمســـون

بعـــد المقدمـــــة

سبحان مَن جمع بين المُبْصِر وغير المُبْصَر! سبحان مَن جمع بين المُظْهِر وغير المُظْهَر! سبحان مَن جمع بين الروح والجسد! وجعل الإنسان فى هيكله يمثل العالم العلوى ويمثل العالم السفلى ، فبروحك مثَّلتَ العالم الملائكى، وبجسدك مثلت العالم الأرضى الذى يدرك بالبصر والحسّ .. سبحان من له القدرة العظيمة ! سبحان الله!!

سبحان الظاهر الذى أظهر جسداً يُرى! ، وسبحان الباطن الذى أبطن روحاً لا ترى! وجعل الفعل والحركة والسكون للذى لا يُرى ، وجعل الجسد الذى يُرى يتحرك بحركة الروح فقط ، فإذا خرجت الروح من الجسم ظل جثة هامدة..

فسبحان الله!! ورضى الله عنك يا أبا الحسنين حينما قلت :

دواؤك فيك ولا تُبصِـــرُ ودواؤك منك ولا تشعـــرُ

وتحسبُ أنك جرم صغيـر وفيك انطوى العالم الأكبرُ

وأنت الكتاب المبين الذى على نقشه يظهر المضمرُ

سيدنا الإمام على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه .. هذا

جدى ، وأشكر الله على ذلك ، هذا جدى وإن شاء الله ألقاه فرحًا مسرورًا كما لقيته فى الدنيا فرحاً مسروراً إن شاء الله ألقاه يوم القيامة ..

يخاطب الإنسان « دواؤك فيك ، يا ابن آدم دواؤك فيك ولا تُبصِرُ ..

دواء جسدك روحك النورانية وأنت لا تبصرها ، دواء جسدك روحك الملكية وأنت لا تشعر بها ، الروح التى قال عنها ابن سينا:

* هبطت إليك من الجناب الأرفع *

هى الروح ..

« وداؤك منك ولا تشعر » وهو الجسد الذى يأكل الطعام والشراب ويُكوِّن الدَّم فإذا غلَّبت روحك على جسدك عالجته وارتحت من وساوس النفس، وإذا غلَّبت جسدك على روحك أثقلت روحك وعطلتها ، وجعلت الحكم لجسدك الشهوانى ..

شهوات الجسد تسمى النفس:﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾(١) .

وحركات الروح تسمى الطمأنينة:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾(٢) .

وقيل : لا فرق بين الروح والنفس ، فإذا كانت تقية تسمى روحًا وتسمى نفساً، وإذا كانت غير تقية تسمى نفساً ..

فالروح سميت روحًا؛ لأنها مأخوذة من الرَّوْح أى :الهواء اللطيف الذى لا يُرَى ، والنفس مأخوذة من قولهم « منفوسة » أى :

---

(١) سورة يوسف : آية ٥٣ . (٢) سورة الفجر : آية ٢٧ .

مخلوقة.. كما فى الحديث :« ما من نفس منفوسة،[٣] أى : مخلوقة.

وقيل: لنفاستها سميت نفسًا ، فإذا أطاعت ربها سميت نفسًا نفيسة غالية لا يملكها شىء، ومسكنها يوم القيامة فى جنّات عدن .. وإذا اتبعت الهوى انحطت ..

« وتحسب أنك جرم صغير » يا ابن آدم « وفيك انطوى العالم الأكبر » فالعالم العلوى تمثله روحك ، والعالم السفلى يمثله جسدك « وفيك انطوى العالم الأكبر » خلق لها جسدًا طيبًا جميلاً ترتاح إلى رؤيته..

فصوَّر الجسد دارًا كاملة لهذه الروح الكاملة الفاضلة :

« وتحسب أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبرُ »

فمك يصدر منه ريق عذب يشارك النيل والعيون العذبة ، وعيناك يصدر منها ماء ملح يشبه البحار المالحة ، ولك عظام تشبه الجبال العالية « فيك انطوى العالم الأكبر » .

« وأنت الكتاب المبين الذى * على نَقْشِهِ يظهر المُضْمَرُ »

المضمر والخافى عنّا هو الله الباطن لا ندرك سمعًا ، لا ندرك علمًا ، لا نسمع كلامًا . خلق فى هذا الجسد العينين لنذكر بهما أن الله بصير ، وخلق السمع لنذكر بهما أن الله سميع ، وخلق الكلام لنذكر أن الله تعالى متكلم ، وخلق فيه الغضب لنذكر أن الله تعالى إذا استُغْضِب غضب ، وخلق فيه الرضا لنذكر أن الله تعالى إذا استُرضِى رضى ، وهذا معنى قوله :

---

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى .

« وأنت الكتاب المبين » كتاب : بمعنى المكتوب أراد المنقوش، وأنت الشيء المنقوش الذى على نقشه يظهر المضمر..

الكتاب : مصدر كتب يكتب كتاباً وكتْباً ، فالكتاب مصدر بمعنى المنقوش ..

أى : المكتوب ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ ﴾(٤) . أى لمكتوب .

« وأنت الكتاب » يعنى المكتوب ، وأراد بالمكتوب المنقوش ..

وقال فى الشطرة الثانية :

« على نقشه يظهر المضمر »

« وأنت الكتاب المبين الذى * على نقشه يظهر المضمر »

أنت لا ترى ربًّا ، ولكن خلق عينيك إذا رجعت إليهما تذكرت أنه يرى ، وخلق سمعًا إذا تذكرت السمع علمت أن ربك سميع ، فخلق فيك ما يدل عليه .. ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ﴾ آياتنا تدل علينا ﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(٥) .

كيف إذا استُغْضِبْتَ غضبتَ؟ وفى الحديث قال عليه الصلاة والسلام: « ويل لمن يغضب وينسى غضب الرب »(٦) .

أنت تغضب إذا خالفك إنسان فى أمر أو أسمعك ما يُهيِّج غضبك هلاَّ تذكَّرتَ غضب الله !!

من صفات الرب ـ كما قال صاحب الجوهرة ـ الرضا:

وقدرة إرادة وغـــــايرت أمرًا وعلماً والرضا كما ثَبتْ

---

(٤) سورة فصلت : آية ٤١ .

(٥) سورة الذاريات : آية ٢١ .

(٦) أخرجه الديلمى عن أبى هريرة .

وقدرة ثابتة لنا ، إرادة ثابتة لنا ، وغايرت القدرة والإرادة الأمر .. الأمر غير الإرادة ، « وغايرت علمًا » العلم غير القدرة والإرادة ، والرضا غير القدرة والإرادة.

..... وغـــايرت أمرًا وعلماً والرضا كما ثَبتْ

الإرادة تخطيط هندسى قبل خلق العوالم، والقدرة تنفيذ لما خططته إرادة الله سبحانه وتعالى ، والعلم سابق على الجميع ، علم الله ما تعلقت به الإرادة التعلق الصلوحى القديم ، وعلم ما تعلقت به القدرة تعلقاً صَلُوحيًا قديمًا ، وتعلُّقًا تنجيزيًا حادثًا ..

« وعلمًا والرضا » من صفات الله أنه يغضب إذا رأى ما يكره من عبد ، ويرضى إذا رأى ما يحبه من عبد، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾(٧) وإن تشكروا .. ما الشكر ؟ الشكر : امتثال أوامره.. الشكر عبادة .. الشكر أن ترى نعمه وتشكره عليها ..

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾(٨) « مِن » : تشمل الشعرة كأنه قال : وما بكم من نعمة حتى الشعرة الواحدة فمِنْ مَنْ ؟

من الله .. حينئذٍ لا تَنْسَ الله !! تَفكَّرْ فى النعم التى تفضَّل بها عليك تعرف محبته لك، فلو لم يحبك الله لم أنعم بنعمه عليك .. سبحانه وتعالى!! جعل السمع والأبصار والأفئدة .. سبحان الله ! والعقول.. خلق الحمار لماذا ؟ لأجل أن تركب الحمار فقط ؟ لا !! بل لأجل أن تشكر نعمته عليك ، لأجل أن تعرف فضله عليك فى كل شىء، كيف صورك؟ هو المصور .. وكيف صوَّر الحمار؟ وكيف اختار لك صورة لم تحصل

---

(٧) سورة الزمر : آية ٧ . (٨) سورة النحل : آية ٥٣.

(٩) سورة الواقعة : آية ٧١ ـ ٧٣ .

لك من مال ، صورة طيبة جميلة .. سبحانه وتعالى !! وكيف رزق الحمار التبن ؟ وخلق لك الفواكه والزيتون والأعناب! سبحان الله !!

وكيف خلق الوحوش فى الجبال تأكل لحماً بدم، وخلق لك النار: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ تُوقِدُونَ ﴿ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾(٩) ﴿ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ تذكركم جهنم ، أخاف عليكم من نار جهنم ، فمن تذكر جهنم عمل للفرار منها ، ومن نسيها أغفل نفسه، وما أضل من أغفل نفسه عن الفرار من جهنم ..

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ منها كثيراً ..

فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول بعد صلاة الصبح « اللهمَّ إنّى أعوذ بكَ من فِتْنَةِ النارِ ومن عذَابِ القبْرِ ومن شَرِّ الغِنَى والفَقْرِ »(١٠).

هل فيكم من يعمل هذا؟! هل منكم أحد يعمل هذا؟! فى كل يوم ينزل إلى المسجد يصلى الصبح ويتربع مستقبلا القبلة ..

فعن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه قال: « كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الفجر تربع فى مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء »(١١). صلى الله عليه وآله وسلم عليك صلاة الله ، ما عرفك إلا الذى خلقك ، يا نبى الله! يا رسول الله!!

السيدة آمنة أم النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأت من العجائب والغرائب فى حمله ووضعه ، كانت فى زمن الجاهلية ولكنها نالت الولاية الربانية .. بالله، وكيف لا تكون كذلك وفى بطنها خير

(١٠) رواه أبو داود . (١١) رواه مسلم .

البرية ..

وفى ليلة ولادته صلى الله عليه وآله وسلم جاءت السيدة مريم بنت عمران أم سيدنا عيسى عليه السلام ، والسيدة آسية بنت مزاحم حضرتا ولادته صلى الله عليه وآله وسلم جاءتا من الجنة ، لأن من مات من المؤمنين يكون فى الجنة حتى تقوم القيامة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « القبر إما روضة من رياض الجنة .. »(١٢) .

فجميع الصالحين فى روضة من رياض الجنة حتى تقوم القيامة .

الموت للأجساد فقط ، قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أى : خلقنا أجسادكم ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ أى : نعيد أجسادكم ﴿ وَمِنْهَا ﴾ الأرض ﴿ نُخْرِجُكُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(١٣) .

وأما الأرواح ، بعد الموت ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾(١٤) .

« .. وإما حفرة من حُفَر النار » .. بعد الموت ملائكة الرحمة تقبض الروح المؤمنة الطيبة إلى روضة من رياض الجنة ، وملائكة العذاب تقبض الروح الكافرة الخبيثة إلى حفرة من حفر النار ..

وكلهم أحياء باقون إلى يوم القيامة ، الأجساد تفنى والأرواح تبقى .. فجاءت السيدة مريم عليها السلام أم سيدنا عيسى عليه السلام ، والسيدة آسية ، وفى الفقه يقولون : « زوجتان حضرتا ولادة زوجهما » هى السيدة مريم والسيدة آسية ورد أنهما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة ، ونزل حور عين ،

---

(١٢) رواه الترمذى والطبرانى .
(١٣) سورة طه : آية ٥٥ .
(١٤) سورة الشورى : آية ٧ .

وحضرت ملائكة كرام ..

قالت الشفا أم عبد الرحمن بن عوف المهاجر ، من العشرة المبشرين بالجنة : « فلما نزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عطس فقال : الحمد لله .. فسمعتُ قائلاً يقول : رحمك الله . قالت : قالت هذا الملائكة ، لما عطس النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. وتشميت العاطس سنة ، إذا شخص عطس بجوارك فقال : الحمد لله .. تقول له : يرحمك الله ، وهو يقول لك : يهديكم الله ويصلح بالكم .. هذا يسمى تشميت العاطس ..

فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أول كلمة نطق بها بعد خروجه من بطن أمه « الحمد لله » ..

قال البوصيرى رحمه الله :

شمتته الأملاك إذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء

« شمتته الأملاك إذ وضعته » يعنى: الملائكة ردت عليه قالت له : يَرْحَمُك الله « وشفتنا بقولها الشَّفَّاءُ » أم سيدنا عبد الرحمن بن عوف : روت الحديث وهذا الكلام الطيب ..

وتنورت الدنيا بأنوار عظيمة ملأت مكة وأرض الحجاز إلى قصور الشام ، نوَّر الله له الدنيا ، فكيف نحن العبيد لا نحتفل به ؟! إذا كان ربّ العزة والقدرة قد احتفل بهذا النبى ، فكيف لا نحتفل نحن العباد به ، ونظهر أنواره ، وندخل الفرح والسرور بحبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم ..

عليك الصلاة والسلام !

(رووا) أن الوحوش تباشرت فى قفارها ، وأن الأسماك تباشرت

فى بحارها ، والجن أنشأت الشعر والنثر فى هذه الليلة الغراء ..

كما قال البوصيرى:

والجنُّ تهتف والأنوار ساطعــة

والحقّ يظهر من معنى ومن كَلِمِ

« والجن تهتف » فى ليلة الميلاد النبوى بالكلام الطيب والبُشَر..

آه ! أرأيتم ما ليلة القدر عندى ؟!

ليلة المولد الذى كـان للدِّيـ ـنِ سرور بيومه وازدهـاءُ

فهنيئًا به لآمنـة الفَضْـ ـل الذى شـرُفت بـه حَـوَّاءُ

مَن لحواء أنها حملت أحْـ ـمَـد أو أنهـا بـه نُفـسَـاءُ

يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخارٍ ما لم تنله النساءُ

وأتت قومـها بأفضل ممـا حملت قبل مريـمُ العذراءُ

شَمْتَتْهُ الأملاك إذْ وضعته وشـفتنا بقـولها الشَّـفَّـاءُ

عليك الصلاة والسلام ! إنه يقول : ليلة القدر عندى هى الليلة التى جاء فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذى جاءت من أجله ليلة القدر ، لولاه ما كانت ليلة القدر ، يعنى أن النبى عليه الصلاة والسلام سبب فى مجىء ليلة القدر عليه الصلاة والسلام ! فاستحب العلماء الفرح فى ليالى مولده اقتداءً بالله وبالملائكة الكرام وبمخلوقات الله جميعًا التى فرحت ، نفرح ونهنئ بعضنا بعضًا بمولده الشريف ..

وأنت له الباب أى امرئٍ أتـاه بغيرك لا يدخـلُ

كلام سيدى أبيض الوجه البكرى! المقام الخاص به مكتوب عليه

سيدى أبيض الوجه البكرى ..

وأنت له الباب أى امرئٍ أتـاه بغيرك لا يدخـلُ

حتى الرسل ، حتى الأنبياء جمعهم الله فى عالم الأرواح وقال لهم : أبعثُ نبيًا وآخذُ عليكم عهدًا إذا حضرتموه آمنُوا به ، وإذا حضرتموه كونوا أنصاره . آخذُ عليكم العهد .. وقبلوا العهد ، فجعلهم الله أنبياءَ ورسلاً .. لهذا قال الشيخ النبهانى رحمه الله :

نورك الكلُّ والورى أجزاءُ يا نبيًا من جُنْده الأنبيـاءُ

سعدت به أمته، ومدحهم الله من أجله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[١٥] بسبب أن نبيكم هو خير نبى ورسول أرسل إلى الناس ، عليه الصلاة والسلام !!.

النبى عليه الصلاة والسلام! نور لا كالأنوار .. لماذا ؟ سيدنا جبريل نور ، وفى ليلة المعراج وقف عند السدرة ، وقال : لو تقدمتُ خطوة لاحترقت من الأنوار[١٦] ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[١٧] وتقدَّم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ..

لو لم يكن نورًا يفوق جميع الأنوار ما استطاع أن يمشى فى مكان تأخر عنه سيدنا جبريل عليه السلام .. فهو نور يفوق جميع الأنوار ..

لا تقل سيدنا محمد وتسكت .. لا .. فهو سيد السادات سيدنا محمد .. سيد يفضل كل من سُمِّى على وجه الأرض سيدًا ، فهو سيد

---

(١٥) سورة آل عمران : آية ١١٠ . (١٦) يراجع الإسراء والمعراج لنجم الدين الغيطى.
(١٧) سورة الصافات : آية ١٦٤.

السادات سيدنا محمد .. والذين يتحدثون فى الإذاعات يقولون : محمد ..

ما عرفوه حق المعرفة !!

القاضى عياض فى كتابه الشفا يقول: « كان السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم إذا ذكروا النبى صلى الله عليه وآله وسلم تغيَّرت ألوانهم وتساقطت دموعهم حُبًّا وإجلالاً وإكبارًا له صلى الله عليه وآله وسلم » ..

والله ، الشاعر قال :

ذهب الذين يُعَاشُ فى أكنافهم وبقى الذين حياتهـــم لا تنفعُ

ذهبوا! ذهبوا! يتغير لونهم ، وتقطر دموعهم! محمد! محمد! يا سلام!! سيادة الريس ! سيادة الوزير!

وما أجهل ! وما أضلّ ! وما أذلّ من يقول : النبى مثلنا ، تمسكًا بظاهر قوله تعالى : ﴿ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[١٨] ..

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ من اعتقد الظاهر كفر ؛ لأن البشر معناها الذى يرى، ومنه « البشرة »أى: الجلد؛ لأنه يُرَى، ومعنى بشر يعنى أُرَى كما يرى بعضكم بعضًا، فالمثلية فى الرؤية، أنا لستُ ملَكًا لا ترونني ، ولستُ جنِّيًا لا ترونني وإنما أنا أُرَى لكم كما يرى بعضكم بعضًا.. هذا معنى الآية ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

لكن هل تستطيع أن تقول ﴿ مِّثْلُكُمْ ﴾ تقول: أنا مثل النبى ؟!

---

(١٨) سورة الكهف : آية ١١٠.

هل طلعتَ السَّماء؟!! يقول : أنا مثل النبى ويُشيح بيده هكذا! هذا المقام العالى! هذا المقام السامى ..

مش تقول:النبى مثلنا.. لا.. هذه وقاحة وإساءة أدب! الأنبياء والمرسلون لما حضر اصطفوا وتقدَّم عليهم وصلَّى بهم يا جهول!

الواحد فيهم يقول لك: اعْبدْ ربك تصبح مثل سيدنا الحسين..

هل يمكنك أن تصبح مثل سيدنا الحسين يا كذاب؟! وهل أنت جدُّك النبى؟ وهل أنت أمك السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين؟! وهل أنت صحابى كالصحابة؟! وهل أنت شهيد مثل سيدنا الحسين الشهيد؟! أبدًا تعبد ربك فين.. هذا كذب وتضليل وجهالة

مَن يَقُلْ هذه الكلمة تجب مقاطعته ؛ لأنه ضَالّ .. ضالّ..

الناس بتكذب

هو واحد حىّ موجود الآن من العلماء ذهب إلى الشيخ محمود خطاب رحمة الله عليه ، قال له : من فين يا شيخ محمد؟

اسمه الشيخ محمد كرم شيخ معهد فى أسوان ..

قال له : واللهِ ، يا سيدنا الشيخ قادم من السيدة زينب رضى الله تعالى عنها ..

فاعتدل رضى الله تعالى عنه وقال: رضى الله تعالى عنها ، ثم قال : كنا نتمتع بزيارتها ولكن النسوان منعونى ، النسوان صاروا عرايا ..

هذا هو الشيخ محمود خطاب يقول له : رضى الله تعالى عنها،

كنا نتمتع بزيارتها لكن النسوان منعونى يا ابنى ..

وأنا من هذا المكان سمعتُ منه يقول : حديث الغار عند الصوفية دليل على الخلوة.. والحمد لله سمعته ولم أسمع من غيره، رأيته بعينى رأسى وهو يتكلم سيدنا الشيخ : قال : نعم .

* ما حكم الصلاة فى مساجد المسلمين؟ قال : صحيحة ..

* نصلى معهم إذا أدركتنا الصلاة؟ قال: صلِّ معهم ..

* ما حكم الجمعة فى مساجد المسلمين؟ قال : صحيحة ..

* نصلى معهم إذا أدركتنا الصلاة ؟ قال : نعم ..

* ما حكم الصلاة خلف حالق اللحية؟ قال : فيها قولان ، والمعتمد أن الصلاة صحيحة .. هذا من لسانه رحمة الله عليه ..

فى هذا الزمان طلعوا ناس ! يا مجير !! لا يسعنا إلا أن نقول اللهم اهدهم .. فقط.. اللهم اهْدِ من ضلَّ من المسلمين..

لماذا سيدنا الحسين؟ ما ذنبه؟ إذا أنت لم تزره لماذا تشنع به ؟! تعال وزر زيارة شرعية ما دامت الزيارة سنة ، وهذا ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. تعال وزر كما أنت تحب ، لكن تمنع الزيارة وتشنّع على زُوَّار سيدنا الحسين لماذا ؟ وهذا شىء ارتضاه العلماء ، كبار العلماء كانوا يأتون ويزورون والزيارة سنة ، رضى الله تعالى عنهم

يا سلام على النفس! الحسين!! اعبد ربك تكن مثله..

لا حول ولا قوة إلا بالله ..

اللهم اهْدِ المسلمين ..

هل أحدٌ أجبرك.. أنت لا تزور، زُرْ زيارة شرعية ، أَلْقِ السلام عليه .. لكن تقول ممنوع ؟ كيف؟!!

ها أنت عامل عذبة مثل عذبة جده ، إن كنت تحب جده تعال وزُرْ ولك الثواب ..

صلى الله علـــى طـــه خير الخلـــق وأحلاهـــا

وعلى الكرار أبى الكُرَما والزهـــراء وأبنـــاهـــا

(ا هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الحادى والخمسون

فى تفسير قوله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(١) .

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٢) .

وصدق الله العظيم فيما يقول ، فى القرآن ما يريده الإنسان من علم كل شىء، فجمع القرآن علوم الدنيا ..

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ الدنيا تحتاج إلى عمل،

---

(١) سورة الإسراء : آيات ٩ ـ ١٥ . (٢) سورة الأنعام : آية ٣٨.

والعمل يحتاج إلى سعى ، والسعى يحتاج إلى طريق .. فالله سبحانه وتعالى رسم لعباده الطريق الذى يوصلهم إلى السعى الموصل إلى العمل : والعمل إما أن يكون موصلاً إلى جنة أُخروية أو إلى شىء من أمور الدنيا فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ وهو كلام الله الذى أنزله من عنده ﴿ يَهْدِي ﴾ يدل ﴿ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ للطريق المعتدل المستقيم وإذا كان الطريق معتدلاً مستقيمًا ، كان السعى معتدلاً مستقيماً، وإذا كان السعى معتدلاً مستقيماً كان العمل معتدلاً مستقيمًا ، وإذا كان العمل معتدلاً مستقيمًا كانت النتيجة معتدلة مستقيمة فى أى أمر من الأمور سواء كان أمرًا أخرويًا أم كان أمرًا دنيويًـا ..

الله لا يُعْبد إلا بما شرع فإن أردت سبيل الآخرة فمن الله ، والدنيا لا نستطيع أن نتاجر فيها أو أن نزرع أو أن نعمل أى عمل فيها إلا بما شرعه الله لنا من المعاملات ، فالقرآن يدل العباد على الطريق المستقيم المعتدل ، إذا أرادوا أمرًا أُخرويًا فالقرآن دليلهم ، وإذا أرادوا أمرًا دنيويًا فالقرآن دليلهم ..

﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ فإذا عمل بالقرآن فى الدنيا لأمرٍ من أمور الدنيا وجده ، فإذا كان تاجرًا ربح فى تجارته، أو كان مزارعًا أغناه الله من أرضه ، أو كان صانعًا بارك الله له فى صنعته ، فهو يجد الخير المعجل ، ولهذا سكت القرآن عن الدنيا؛ لأنها معجلة حاصلة .. وتكلم عن الآخرة ؛ لأنها غير موجودة الآن .. فقال سبحانه : الناس يعملون بالقرآن لدنياهم ، فإذا عملوا وصلوا لما أرادوا، ويعملون بالقرآن

لآخرتهم فها أنا أُخبرهم بالوعد الصدق وأنهم يوم القيامة سيجدون أجرًا كبيرًا .. ووصف الأجر بأنه كبير ؛ لأنه ليس من طاقة العقول وليس من عطاء البشر ، فإنه سبحانه يقول فى آية أخرى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾(٣) .

النعيم: ما يتنعَّم به الإنسان فى الجنة .. والمُلْك : ما يجده من أبهة الملك فى الجنة من الأمر والنهى والسيطرة على ما حوله من الولدان وعلى ما حوله من الأشجار والقصور فإنه إذا أشار إلى شجرة جاءته، وإذا أراد أن يكون فى قصر وصل إليه ..

فهى أبهة وسيطرة ومكانة ورفاهية وحياة فوق العقول لذلك قال سبحانه ﴿ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ .

والقرآن العظيم هو الهادى فمن تركه فلا هادى له ، والقرآن العظيم هو الشفاء فمن تركه فلا شفاء له، والقرآن العظيم هو الرحمة فمن تركه فلا رحمة له، والقرآن العظيم هو النور فمن تركه فلا نور له، والقرآن العظيم هو القول الفصل فمن تركه فلا قول له يفصل بين الحق والباطل، والقرآن العظيم هو الروح : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(٤) . فمن تركه فلا روح له ، والقرآن العظيم هو الحق فمن تركه وقع فى الخطأ الذى ليس بالحق والقرآن العظيم هو العلم ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾(٥) . فمن تركه فلا علم له ، والقرآن العظيم هو كلام الله فمن تركه

---

(٣) سورة الإنسان : آية ٢٠ .
(٤) سورة الشورى : آية ٥٢ .
(٥) سورة العنكبوت : آية ٤٩ .

فقد ترك مكالمة الله .. قال عليه الصلاة والسلام :

« من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن » ..

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يتكلم عن كتابه ويمدحه ويدلّ عباده عليه والسبب فى ذلك أنه أنزله إليهم ، ما أنزله إلى البهائم، ولا إلى الوحوش ، ولا إلى الجمادات ، وإنما أنزله إلى بنى آدم ، لهذا يتكلم معهم ويقول لهم : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ إن كانوا كفاراً يقول لهم :

لماذا تركتموه ، وهو يهدى للتى هى أقوم ، وإن كانوا من المؤمنين يقول لهم: لماذا تركتموه وهو يهدى للتى هى أقوم.. ففيه تقريع للقلوب، وعتاب شديد، وتثقيف للآراء وتثقيف للعقول المعرضة، كيف تتركون كتاباً يدلّ على الصراط المستقيم، كلامى هذا حقّ يهدى إلى الحق.. لماذا تركتم الداعى إلى الحق واتبعتم الداعى إلى الباطل ، وما ينبغى للعقول السليمة أن تفعل مثل هذا ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾[٦] أتستبدلون الليل بالنهار ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾..

ومن جُمَل ما يهدى إليه هذا الكتاب أنه يدل العبد على مَن خلقه وأوجده وصوّره ونفخ فيه الروح وأوجد فيه الحياة ورزقه من الطيبات، وجعل له رحلة الشتاء والصيف ، فهذا الإله ينادى الإنسان الذى خلقه وصوّره وكرّمه وأعطاه العقل ينادى عليه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾.. فقد أعطيتك يا إنسان عقلاً تميز

---

(٦) سورة البقرة : آية ٦١.

به بين الأقوم وبين المعوج، فلماذا بعد التمييز أعرضت عن الصراط المستقيم المعتدل إلى الصراط المعوج، هذا عتاب شديد من الله..

كل ما يأتيك من الكفار من علم فهو عند الله جهل، فإن رأيته صراطاً مستقيماً فهو عند الله طريق معوج فَاتِنٌ مخيف عاقبته ذميمة لأن الله تكلم فى القرآن وهو يعلم خواص الدنيا وغرائب المخلوقات ويعلم ما فى النبات وما فى البحار وما فى الأحجار وما فى الأشجار ويعلم الجنّ والإنس والشياطين، ويعلم كل شىء، ويتكلم عن كل شىء، وشتَّان بين جاهل يتكلم وبين عالم يتكلم ، فإن الذى يتكلم عن الكون الذى سُمِّى كَوْنًا؛ لأن الله خلقه بقوله (كن) ، فهو أثر (كن) ، وهو مظهر التكوين الإلهى ، وصاحب هذا المظهر وصاحب هذا الكون يتكلم عن كونه ، ويعلم غرائز عباده فهو يرشدهم إلى ما فيه إصلاح نفوسهم وإصلاح غرائزهم ، وأما الإنسان المخلوق الذى لا يدرى بالذى يخاطبه فكيف يعرف الداء حتى يدلّ على الدواء ، إذا كان لا يعرف الداء فكيف يدلّ على الدواء ، إنما الإله الذى خلق كل شىء وقال سبحانه: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾(٧) . خلق وهو يعلم ما خلق ، فيتكلم مع عباده بالعلم الذى ينفعهم فى دنياهم وينفعهم فى آخراهم ..

الدكتور الأمريكانى يتكلم فى رسالة، فى كتاب صغير، والدكتور البريطانى يتكلم فى رسالة ، كتاب صغير، والدكتور الروسى يتكلم فى رسالة فى كتاب صغير، والدكتور الفرنسى فى رسالة صغيرة ، كلاب نابحة عند الله تعالى وعند رسوله ؛ لأنه

(٧) سورة الملك : آية ١٤ .

يقول عنهم: ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[٨]. والذى هو أضل من الأنعام الكلاب النابحة ، والذئاب العاوية ، فكيف نحن نطلب هداية من قوم وصفهم الله بهذا الوصف الذميم ، وأرشدنا ودلنا على صاحبهم الذى هو معهم يستمدون منه ما يقولون وما يفعلون ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[٩]. وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾[١٠].

أتطلب الحكمة من قرين الشيطان؟! أتطلب الهداية ممن هو أضل من الأنعام؟! أيليق ذلك بك وعندك الكتاب الحق، والإله يناديك ويدعوك وما تركك، وينادى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ .. يعنى : هلموا أَقْبِلُوا على هذا الكتاب الذى يهديكم إلى الصراط المستقيم .. ثم لما أعرضوا نادى: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[١١].

فبأى حديث بعد هذا الحديث البليغ المنير الجامع لجميع المنافع الدنيوية والأخروية، بعد كلام الله وآيات الله﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾[١٢]، من جاءه العسل فقال : هذا مُرّ ، فلا أظنُّه بعد ذلك يجد شيئاً حلواً ، إلا أن يُطْعم الحنظل؛ لأنه يستحق المُرّ فمن أنكر حلاوة العسل فدواؤُه الحنظل، فالله يقول:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ويمدح كتابه ويقول :

---

(٨) سورة الفرقان : آية ٤٤.
(٩) سورة الزخرف : آية ٣٦.
(١٠) سورة النساء : آية ٣٨ .
(١١) سورة التكوين : آية ٢٦، ٢٧.
(١٢) سورة المرسلات : آية ٥٠.

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾(١٣) فما بال أصحاب العقول! فما بال أصحاب القلوب لا يسمعون!! لا يتذكرون!! لا يؤمنون!! لا يعملون!! لا يتدبون! لا يبكون!! ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾(١٤)..

هذا حديث فيه الحق.. ومن سمع الحق إذا كان مع الباطل بكى حزنًا وأسفًا، تضحكون وأنتم مع الباطل لا تبكون ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾(١٥) الحق الكبير العظيم الجليل المهيمن ينادى بهذه الكلمة، هذه الكلمة الكبيرة العظيمة تصدر من الإله سبحانه: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ وهل ربنا يتحسَّر سبحانه؟! حاشا وكلا! ويستحيل عليه أن يتحسر ولكن قال المفسرون معنى الآية: هذا مكان الحسرة لمن يتأتى منه الحسرة ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾.. وليس الاستهزاء قاصرًا على الرسل فقط وإنما هو يمتد إلى الرسالة أيضًا، فمن استهزأ بالقرآن فقد استهزأ بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أعرض عن القرآن فقد أعرض عن الله تعالى وأعرض عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم..

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ فلا هداية إلا منه..

﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١٦).

ضمن الحياة الطيبة فى الدنيا، وضمن الحياة الطيبة فى الآخرة..

---

(١٣) سورة الحشر: آية ٢١.
(١٤) سورة النجم: آية ٥٩، ٦٠.
(١٥) سورة يس: : آية ٣٠.
(١٦) سورة الإسراء: آية ٩.

فهذه الآية تدل على الحياة الطيبة فى الآخرة ، والآية الأخرى تدل على الحياة الطيبة فى الدنيا ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾(١٧) يعنى: فى الدنيا..

فالذى يهدى للتى هى أقوم ضمن للخلق حياتين طيبتيْن آمنتيْن ضمن الحياة فى الدنيا وضمن الحياة الآخرة ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فمن أعرض عن هذا القرآن الذى يهدى إلى الصراط المستقيم أعدَّ الله له يوم القيامة عذابًا أليمًا مؤلمًا فى جهنَّم .

ومعنى الآية: القرآن يهدى إلى صراط مستقيم موصل إلى الجنة، ومن تركه مشى ووصل إلى صراط موصل إلى النار.. ففى الدنيا طريقان: طريق موصل إلى الجنة وهو القرآن ، وطريق موصل إلى النار وهو الكفر بالقرآن.. ولذلك قال: ﴿ أَعْتَدْنَا ﴾ للكافرين عذابًا أليمًا ..

﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾

الإنسان يدعو الله يسأله الخير ويستعجله ويريد أن يأتيه الخير بسرعة ، وكان من الأدب مع الله أن يفوض الأمر إليه من غير استعجال ولكن سامح الله عباده ؛ لأنهم يطمعون فى رحمته ويرجونه، وخصوصًا إذا كانوا متقين عاملين ، ويحب الملحين فى الدعاء..

---

(١٧) سورة النحل : آية ٩٧.

« إن الله يحب الملحين فى الدعاء »[١٨].

ويدعو الإنسان تارة بالشر على إنسان ويستعجل الإجابة فالله سبحانه وتعالى يدلنا على الصبر فى الأمور وأننا لا نستعجل فى الشر كما نستعجل فى الخير؛ لأن عاقبة الخير محمودة ، وربما كانت عاقبة الشر مذمومة ، فإذا دعوت بالخير وأجابك الله فرحت فحمدت وشكرت فاستبشرت ، وإذا دعوت على إنسان بالشر فأجاب الله دعوتك ربما ندمت لأنك دعوت فى ساعة غضب ولما ذهب غضبك ورجع إليك عقلك ندمت ، فالله سبحانه وتعالى يريد منا أن ندعو بالخير وأن نستبشر بسرعة الإجابة.. وإذا دعونا بالشر لا نستعجل، وإذا بدا لنا أمر آخر استغفرنا وتبْنَا ، وتقول: يا رب اعْفُ عن فلان فإننى قد عفوت عنه﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١٩].

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾. لما كان المتقدم أن الله سبحانه ذكر القرآن وأنه يهدى للتى هى أقوم فهو كالنهار، والكفر بالقرآن والإعراض عن القرآن وترك العمل بالقرآن كالليل فناسب أن يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ علامتيْن بارزتيْن على وجود الله، وعلى عظيم قدرته وعلى بالغ حكمته ، وعلى أنه الغالب على أمره، وعلى أنه متحدٌ لجميع الدول وللعالم إنساً وجنًّا بالليل والنهار فلا يستطيعون محْو ليل جاء فيه، ولا يستطيعون ردَّ نهارٍ جاء به، فهو يتحدى العالم بجبروته وعظمته وقوته وأنه الفعال وهم الكاذبون ، وأنه القادر وهم

(١٨) رواه البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(١٩) سورة آل عمران : آية ١٣٤ .

العاجزون ، وأنه الإله وهم العبيد المخلوقون ..

﴿ فَمَحَوْنَا ﴾ معناها: أزلنا .. فإن النهار إذا جاء أزال الليل ، وفى هذا إشارة خفية إلى أن القرآن سيتغلب على الكفر وأهله ، وقد كان .. ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ بالنهار .. وهذه آيات كونية ، وسنمحو بآية القرآن العظيم ظلمة القلوب الكفرية ، وقد كان .. فأسلم خَلْق كثير ، ولا يزال الإسلام منتشراً ، ولا زال يأتى جيل بعده جيل، فعالم البرزخ مملوء بالأرواح التى استنارت بنور القرآن، واهتدت بهدى القرآن ، فصار القرآن نهاراً مضيئاً أزال بنوره ظلمة الشرك والكفر ..

﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ بالشمس ، ومحونا آية الكفر بشمس القرآن، فالليل كان مسيطراً على الكون جعل الملوك تختفى فى بيوتها، والكفر كان مسيطراً على الأرض، فجاء الله سبحانه وتعالى بشمس القرآن فمات أبو جهل وعتبة وشيبة ورؤساء الكفر ، وطلعت شمس القرآن مشرقة فاستنار الناس بشعاعها وملأ البقاع والبلاد..

﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾(٢٠).

﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ لا منافع فى الليل للعباد إلا أنهم ينامون كالأموات ، والكفر والظلم والجهل والإعراض عن هذا القرآن كالليل لا منافع فيه للعباد ، وإذا ظهرت منفعة من غير سبيل القرآن كان عاقبة أمرها خسراً ، وإذا ظهرت منافع وإرشادات وعلوم وثقافات لم تنبثق عن شمس هذا القرآن فعاقبة أمرها خسر؛ لأن العواقب

---

(٢٠) سورة النصر : آية ٢ .

المحمودة تأتى من كتاب الله سبحانه ..

﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾جاء الله تعالى بالنهار للمنافع ﴿ لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ ..

فى هذا القرآن بيَّن الله كل شىءٍ يحتاجه الإنسان من أمور الدنيا وأمور الآخرة ..

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ يوم القيامة ، كُتُب الأعمال تكون تحت العرش ثم تتطاير من تحت العرش ، ويأتى كل كتاب ثم يوضع فى عُنُق صاحبه يكون معلقًا ، ثم يأتى الملَك ويخرجه للإنسان ، فإن كان مسلمًا أخذه بيمينه ، وإن كان كافرًا أخذه بشماله ..

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾ فإن كان أُمِّيًا كان قارئًا ، فإذا قرأت وفهمت ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾حاسب نفسك بنفسك .. ثم قال سبحانه عن هداية الخلق وعبادتهم ..

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ أي : فهدايته راجعة إلى نفسه هو ينتفع بها فى الدنيا يعيش آمنًا ، وينتفع بها فى الآخرة يُبْعَثُ فى الآمنين ..

﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ ومن ضلَّ فى الدنيا وترك القرآن واتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين فإنما إثمه وذنبه وشقاؤه وتعبه على نفسه .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ والنفس صاحبة الذنب لا تحمل ذنباً آخر عن نَفْسٍ أخرى بل كل إنسان ذنوبه عليه ..

﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾(٢١).

فالذنب يُعذَّب عليه صاحِبُهُ، والحسنة يُثاب عليها صاحبها ، ومن رحمة الله جعل المؤمنين بعد الموت تصل إليهم حسنات من الأحياء ..

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾أى: ما كنا مُعذِّبين الخَلْق يوم القيامة على كفرهم حتى نبعث رسولاً ، حتى نُرسِل إليهم فى الدنيا رسولاً يُبيِّن لهم الإسلام والإيمان والحلال والحرام ..

(أ هـ)

---

(٢١) سورة النجم : آية ٣٨ ، ٣٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثانى والخمسون

من الآداب القرآنية

ديننا دين واضح .. حتى القرآن أنزله الله تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (١) إذا سمع الإنسان ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (٢) ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾(٣). وجده كلاماً واضحاً.. وإذا آمن بالله أخذ حقه..

القلب عنده غرائب وصفات مختصة به ، إذا آمن بالله أخذها وإذا كفر به فقدها :

حكمة وتشريع ... لمن؟ لمن كان له قلب ..

فإذا فقد القلب خواصّه والصفات القائم بها صار القلب كالعدم .. كالجسم إذا فقد العينين والأذنين والتفكير ...

أما القلب الذى آمن بالله وعادت إليه خواصه ، فإنه إذا سمع القرآن علم أنه ليس من كلام البشر ، ليس بالكلام الذى يسمعه.

إذا نظرت إلى السماء بعينيك أدركت أن السماء ليست من

---

(١) سورة الشعراء : آية ١٩٥ .
(٢) سورة الحجرات : آية ١٢ .
(٣) سورة الإسراء : آية ٣٢ .

صنع البشر ، وإنما هى من صنعه وفيها عالم آخر .

كذلك إذا سمع القلب القرآن أدرك أنه ليس من كلام البشر .. لمن هذا؟ لمن كان له قلب ..

النبى صلى الله عليه وآله وسلم أُرسل إلى الناس كافة ، وهناك قلب أعمى وقلب مبصر ، قلب يفكر ، وقلب لا يفكر..

القلب له ذوق كذوق اللسان ، فإذا سمع القرآن ذاق حلاوة المعانى، لأن الله تعالى جعل فى القرآن ما يشبه الأغذية (الفيتامينات) ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾(٤) .

(أسبغ) تطابق مقتضى الحال فمثلاً : إذا قلت يا فلان : أعطنى كوب ماء مثلج فيعطيك كوباً مثلجا، ولكنك لن تستطيع أن تشرب منه لأنه ليس سائغا شرابه، لكن إذا طلبت من الله فإنه سوف يعطيك الماء سائغاً شرابه كما تريد (مناسباً لمقتضى الحال) لمن البطيخ؟ لمن الموز ! لمن البرتقال؟

لبنى آدم ..

أما التبن والبرسيم فإنه خاص بالأنعام ..

﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾(٥) .

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾(٦) أى : المستلذات ..

---

(٤) سورة لقمان : آية ٢٠ . (٥) سورة عبس : آية ٣١ ، ٣٢ .

(٦) سورة المائدة : آية ٥ .

لو كانت الخمر لذيذة لدخلت تحت قوله (الطيبات) وأحلها الله، ولكنها تؤثر على العقل فيصير المرء ـ بعد أن كان عاقلا ـ كالبهيم..

فاكهة الشتاء تناسب البرد، وفاكهة الصيف تناسب الصيف ..

﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾(٧).

فكأن الله يقول : حتى أراعى خواطر خلقى ، وقريش من بينهم أجعل لهم رحلتين : رحلة صيف إلى الشام حيث إنها تكون باردة ، والطريق بارد فى الصيف ، ورحلة شتاء إلى اليمن حيث إنها تكون دافئة والطريق دافئة فى الشتاء . ولو انعكست القضية لم ينتفعوا ، ففى اليمن الصيف يكون الحر فيه شديدًا لدرجة أن أحدهم يحضر حصيرًا يغمرها بالماء ويجلس فيها . هذه رحمة منه سبحانه .. سكان خط الاستواء حياتهم مستقرة عنده ، اعتادوا على الحياة هناك وتحمل درجة الحرارة ، لا يستطيعون العيش فى المناطق الباردة بل يمرضون ويموتون فيها .. حتى صعيد مصر سكانه أقوياء يتحملون الحرارة . فسبحان من قسم الحرارة والبرودة وقسم السكان !.

سبحان الحاكم الأوحد !! ماذا فعل حكام الدنيا؟ لا شىء..

وجدوا النيل هو النيل لم يحفروه بأيديهم ولن يستطيعوا تغيير مكانه ، هل وجدت حكومة أمرت بأن يكون الفلاحون علماء والعلماء فلاحين؟! هل هناك حاكم أو ملك أو سلطان خلق أرضًا،

(٧) سورة قريش : آية ١ ، ٢ .

أو زرعاً أو ناساً ؟! لا يوجد ..

﴿ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾(٨) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٩) .

يا سلام! كلمة (طريًا) يخاطب الله البشر بالحنان والعطف.

خطاب يذوب منه بنو آدم ..

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾(١٠) .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾(١١) .

جعل الله الرجل يشبه المرأة أيما شبه، ويخالفها أيما مخالفة، جعل الرجل فى صورة تشتهيها المرأة ، والعكس.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١٢) . بين من؟ بين المتزوجين، وليس بين الزانيين؛ لأن الزانية تأخذ من الزانى المال وتملؤه مرضاً.. إذن فلا مودة بينهما ولا رحمة .. هذه هى المودة ..

---

(٨) سورة الشورى : آية ٥٣ .
(٩) سورة النحل : آية ١٤ .
(١٠) سورة النحل : آية ٨٠ .
(١١) سورة يس : آية ٧٣ .
(١٢) سورة الروم : آية ٢١ .

أما الرحمة فهى الشفقة؛ إذا مرض تشفق عليه وتحزن ، من أجل ذلك حرم الله الزنا؛ لأنه مضرة للعباد .

الزانية يوم أن يمرض زانيها لا تعبأ به ؛ لأنه أهان كرامته وأسقط سلطانه. إذ لا شيء يجعل الرجل صغيراً أمام المرأة إلا إذا رأته زانياً بخلاف السرقة ، أو القتل، أو السب ، وما إلى ذلك ..

فعندما يزنى الرجل وتعلم زوجته أنه زنى : ذهبت المودة وذهبت الرحمة: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾(١٣) .

معنى ﴿ فَاحِشَةً ﴾ أى : الشيء القذر الذى لا يرضى أن يراه عليه أحد.

فالزانى عندما يخرج من بيت الزانية لا يريد أن يراه أحد ، كأنه بَالَ على نفسه ..

﴿ وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ : السبيل هو الطريق ، وساء من السوء أي : لا تمش فى طريق المسيئين ، فقد يقابلك مخبر فى طريق بائعى الممنوعات يشك فيك فيحبسك ، أو يقابلك سكران فى طريق السكارى فيضربونك ، أو فى طريق السارقين فيسلبونك والمعنى : أن الذى يمشى فيه يساء له فى الدنيا وفى الآخرة .

الرجل الشريف يمشى بالليل يقول : السلام عليكم، أما إذا جاء رجل من طريق سيء يسير وكأنه امرأة ..

وقال بعض العلماء : ﴿ سَبِيل ﴾ هو عضو التناسل الذى هو

---

(١٣) سورة الإسراء : آية ٣٢.

السبب فى الذرية ، فإذا زنا الرجل أخذ عدوى تسىء إلى عضو التناسل ﴿ وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ وإن من نعم الله تعالى والحمد لله سبحانه أنه جعل هذا العضو بين الرّجلين وليس بين العينين سبحان الله! قولوا : سبحان الله ..

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾(١٤) . الرجل الذى يزنى هو كمن أخذ بقرة من البقر ثم ذهب ليحرث فى أرض رجل آخر ، وقام بزراعتها وعرقه يسيل منه ، وتعب تعبًا شديداً طوال الليل ، ثم لما عاد فى الصباح قال له رجل آخر : هل أنت أحمقُ؟ كيف تزرع فى أرض غيرك ، سوف يأخذ الأرض وما فيها ولا شىء لك

فالمولود الذى ينتج من الزنا مآله إما الملجأ أو يأخذه زوجها.

فالإنسان بدلاً من أن يفكر فى الفاحشة عليه أن يتزوج امرأة ولتكن مناسبة له ، إن كان فقيرًا فليبحث عن امرأة فقيرة ، صعيدى ابحث عن صعيدية ، انظر ما يناسبك ، يناسبك بنات حىّ (جاردن سيتى) توكل على الله ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾(١٥) .

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾(١٦) .

قال إنسان لآخر : أريد أن أتزوج .

فرد عليه : فقير أنت أم غنى؟

قال : فقير ..

---

(١٤) سورة الإسراء : آية ٣٢ .

(١٥) سور الطلاق : آية ٧ .

(١٦) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

فقال له : اذهب إلى شخص متزوج من الفلاحين فاسأله وقل له: اصطد لى من البحر الذى اصطدت منه، الزوجة مثل الأكل : إن كنت فقيراً فعليك بالفول ، غنيًا فعليك باللحم. إذا تزوجت امرأة غنية فستقول لك : أنا لا أعرف عمل السمك، ولا الطعمية ولا الملوخية !! فعندئذ تقول: لعن الله الدنيا التى جلبت لى المذلة.

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾(١٧) ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾(١٨) ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾(١٩).

* * *

الطيب، والطاهر من أسمائه سبحانه وتعالى، سبحان الله!!

لو فكرنا فى معاملة الله تعالى معنا لذقنا كما يذوق غيرنا .

خلق الله ابن آدم فى بطن أمه عريان كى يلبس ما يريد ، أما إذا ولد مثل القطة أو الخروف فلا يحتاج إلى ما يلبسه.. أنزله الله عريان ليلبس القطن والحرير والصوف وغيرها .. ومن فضائل التكريم الإلهى له أن جعله يخرج إلى الدنيا بدون حذاء ، بل جعله يختار ما يلبسه فى رجله حسبما يريد، وكيفما يشاء من نعم الله.

أما غير الإنسان من حمار وغيره فإنه ينزل من بطن أمه بحذائه إلى أن يموت فالإنسان خلق عارى القدمين، وليس المدار على من أحضر له الحذاء، ولكن المدار على من جعله عارى

---

(١٧) سور الطلاق : آية ٧. (١٨) سورة البقرة : آية ٢٨٦.
(١٩) سور الطلاق : آية ٧.

القدمين ليلبس من الأحذية ما يشاء ..

* * *

يقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾(٢٠) . أى أن النار التى تورون (توقودن) تذكركم بنار جهنم ، نار الآخرة أى : الذى خلق فى الدنيا نارًا ذات لهب خلق فى الآخرة نارًا ذات لهب ، هذا هو المعنى ، إن الله تعالى لم يخلق شيئًا بدون فائدة .. ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾(٢١) . كلا ـ وإنما خلقناكم لحكم كثيرة ـ.

البطيخ لمن ؟ البرتقال لمن ؟.

لك أنت يا ابن آدم ، ما خُلِقَتْ هذه إلا لك أنت !

خلقكم ربكم وجعلكم مكان المتعلم المتَّعظ !!

ابن آدم يسمع هذا الكلام يزداد به حبا وعبادة لربه..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢٢) . عبادة بعد علم .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾(٢٣) .

سمع لا يباع ولا يشترى ، وكذا البصر ، وكذا القلب .

فإذا أحببته تعالى فلا بد أن تسمع كلامه ، فهو قال لك :

---

(٢٠) سورة الواقعة : آية ٧١ : ٧٣ .
(٢١) سورة المؤمنون : آية ١١٥ .
(٢٢) الذاريات : آية ٥٦ .
(٢٣) سورة السجدة : آية ٩ .

اعبدنى .. لا بد أن تعبده.

إذن فهى عبادة عن علم ، دافع إلى الحب ، وعن معرفة وعن حجة.

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾(٢٤).

فكيف لا تحبه؟ الطيور تحب مَنْ يحسن إليها، وكذا الحيوانات.

الإمام الغزالى يقول: من أسباب المحبة له تعالى نعمه علينا ولا نرى منعما علينا غير الله تعالى.

خلقنا الله سبحانه وتعالى وكرمنا بالعلم؛ لكى نعبده ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾.. من يقول : الله غير موجود ، لا يساوى روث البهائم .. لا فرق بين بنى آدم وبين الحيوان إلا أن الإنسان يقول: لا إله إلا الله .. بخلاف الحيوان فلا يمكنه النطق بها ..

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(٢٥).

أو تكريم له فى خلقته ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٢٦).

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(٢٧).

وأعظم تكريم لبنى آدم أن جعله الله خليفته فى الأرض، ومعنى ذلك كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا

---

(٢٤) سورة البلد : آية ٨ : ١٠ .
(٢٥) سورة الإسراء : آية ٧٠
(٢٦) سورة التين : آية ٤.
(٢٧) سورة الانفطار : آية ٧ ، ٨ .

الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ، ﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾(٢٨) .

ماذا تقول؟

إنه قرآن كريم .

هذا كلام من !

كلام الله تعالى.

كيف تتكلم بكلام الله؟!

لأنى خليفة الله .. هذا هو معنى الخلافة ..

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٢٩) .

منهم علماء ، ومنهم أنبياء، ومنهم أولياء ..

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله خلفائي ، قالوا ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال : « الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى »(٣٠). فحينما يقرأ العلماء كلام الله تعالى فإنما هم يبلغون الناس شريعة الله تعالى.. إذن .. فالله تعالى.. قد كرم ابن آدم حتى جعله خليفة عنه يتكلم بكلامه. وهو بهذه الحال خليفة.

أول من يسمعك هو الله تعالى، يسمع كلامه من صنعته، والملائكة يسمعون ، ويقول لهم الله: تعالوا يا ملائكتى اسمعوا ماذا كنتم تقولون على هؤلاء ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

---

(٢٨) سورة يس : آية ٦٠، ٦١ .

(٢٩) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٣٠) رواه الطبرانى فى الأوسط .

الدِّمَاءَ ﴾؟![٣١] . تتعجب الملائكة كيف هذا اللحم وهذا الدم يقول كلام الله؟!! فالإنسان يتلو كلام الله تعالى بالوكالة .. بالخلافة ..

وهذه أعظم نعمة على النوع الإنساني..

والله تعالى لا يستمع استماعًا عظيما مثل استماعه لمن يتلو كلامه ، وأفضل شيء على وجه الأرض كلام الله تعالى ، وأفضل شيء يقوله الإنسان كلام الله تعالى، وأفضل شيء يستمع إليه كلام الله تعالى وأفضل شيء تعمل بأوامره ونواهيه كلام الله عز وجل ..

هذه هي العزة ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٢]إن كنت تفكر.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٣٣] .

تقرأ بالنيابة عن الله تعالى ، وتسمع الله تعالى يقول :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٣٤] .

العارف بالله أول شيء يفكر فيه أن الله تعالى يراه، يا سلام!

ربنا يراني ويعرفني، وأنا أقرأ كلامه..

فهو يتلذذ بأن الله تعالى يراه، ويفرح فرحًا عظيماً .

يا سلام! المقرئ يريد أن يطير عندما يرى الناس يستمعون إليه ، فكيف وأن الله تعالى يسمعه؟!

---

(٣١) سورة البقرة : آية ٣٠.
(٣٢) سورة المنافقون : آية ٨.
(٣٣) سورة الإخلاص.
(٣٤) سورة ق : آية ١٦.

لأن الله تعالى له خزائن : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٣٥] خزانة (يا رب أنت ترانى) ، (يا رب أنت تسمعنى) فعندما يفكر القارئ فى أن الله يراه وهو يقرأ كلامه يفتح الله له باب خزانة « يا رب أنت تسمعنى » عندئذ يقول له الله تعالى: أنا سوف أنزل إليك حاجة من عندى أنت لا تعرفها (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)[٣٦] .

فالإنسان له بقدر خدمته لربه من هذه الخزانة ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٣٧] .

يقول الله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[٣٨] .

وسوسة الشيطان تدلك على وجود الشيطان ، نفسك تحدثك أن تفعل حرامًا.. يدل هذا على وجود الشيطان.. ما العلاج إذن؟

لا عصا تفيد، ولا سكين، ولا سلاح ، لأن الشيطان لا يرى للإنسان ، وإنما السلاح هو (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ..

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[٣٩] أى: عباد الله الذين يعبدونه ويذكرونه دائمًا.. هؤلاء لا يستطيع الشيطان أن يتسلط عليهم.

---

(٣٥) سورة الحجر : آية ٢١ .
(٣٦) رواه أبو نعيم فى الحلية
(٣٧) سورة الحجر : آية ٢١ .
(٣٨) سورة النحل : آية ٩٨ .
(٣٩) سورة الحجر : آية ٤٢ .

فمعنى السلطان: التسلط ..

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .. أُجير من الشيطان حتى يمسى »(٤٠).

الذى فسد قلبه لا يحتاج إلى شيطان ، الشيطان يأتى موسوساً للقلب العامر ، يقول السيوطى رحمه الله :

« شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثرة الوسواس .. فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أرأيت السارق إذا أراد أن يسرق أيذهب إلى البيت العامر أم إلى البيت الخَرِب؟ قال : إلى البيت العامر . قال : كذلك الشيطان يتسلط على قلب المؤمن ليفسده » .

ومعنى الحديث: أن السارقين عادة لا يسرقون إلا البيت العامر، أما البيت الفقير فلا يقتربون منه . هذا معناه ..

الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا لهذا الرجل: أبشر.. وفرحوا.

فالإنسان لا بد أن يجاهد بكل قواه هذا الوسواس ..

وقد جرت عادة الله تعالى ألا يترك عباده على كثرة التعب، بل ينشلهم من التعب ، لا سيما إن كانوا يتعبون من أجله..

قال صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الشيطان واضع خطمه

(٤٠) رواه ابن السنى عن أنس .

على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس، وإن نسى التقم قلبه »[٤١].

الأمانى أى : الوساوس التى يتحدث بها الشيطان .

روائح وأنوار الذكر يتأذى منها الشيطان ، والشيطان يعرف صاحب القلب الخرب، إذا كان صاحب نساء جمعه على النساء، وإن كان صاحب قمار جمعه على القمار، وإن لم يكن صاحب هذا ولا ذاك لم يجمعه لا على هذا ولا على ذلك ..

مثلا: الشيطان يوسوس للشيخ - أى شيخ -: يا سيدنا الشيخ: آه لو كان عندك بيت أو سيارة ملاكى..

هذه هى معنى الأمانى أى : التمنيات ، وصار يتمنى على الله الأمانى .. قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى »[٤٢].

هذا الحديث له معان كثيرة لا بدّ من الفطنة لها ..

إنسان سارق لم يجد شيئًا يأخذه ، أنت خارج للحرام .. لا تقرب منه .. لماذا تريد الحرام .. تعال وتوضأ وصل ركعتين ..

هاتان الركعتان أفضل من ألف خزانة مال .. وهذا شيطان يوسوس لك فإذا عرفت فالزم ولا تمش معه ..

قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه : « القلب

---

(٤١) رواه ابن أبى الدنيا وعبد الرزاق والبيهقى .

(٤٢) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد .

له عينان كعينى الرأس يؤذيهما التفكر فى الحرام كما يؤذى الريح الشديد البصر » .

الدنيا إذا كان فيها غبار وأتربة تضر العينين ، كذلك الوساوس الخبيثة، فهى الغبار والأتربة التى تضر عينى القلب ..

فلتكن مراقبًا لقلبك .. فالشيطان مع الإنسان حتى فى سؤال القبر.

ولذا أمرنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن نستعيذ بالله من فتنة القبر، حيث يأتى الشيطان ويفتن الميت فى دينه عند سؤال القبر، وهذا آخر مطاف الشيطان مع بنى آدم ، نعوذ بالله من فتنة القبر وعذابه .

اللسان يتكلم ولكلامه آثار، والقلب كذلك يتكلم ولكلامه آثار.. يتكلم الإنسان ويقول : إن شاء الله نذهب لنحج. النفس تسمع هذا الكلام فتشتاق إلى الحج ، والقلب عندما يتكلم لا أحد يسمع إلا النفس ، والشيطان يوسوس فى القلب .. النفس تسمع وتشتاق للشىء الذى يُذاع فى القلب، فاحذر من كلام اللسان وكلام القلب إذا دخلت فيه وسوسة الشيطان .

مثلاً : تقول الليلة الماضية كان مع فلان وفلان امرأة تأخذ مالاً كثيرًا.. هذا كلام فى القلب من وسوسة الشيطان، تأخذه النفس وتفكر فى الوصول إلى ما وصل إليه هذان الرجلان.

ويا سلام .. حينما ترى الكعبة وتطوف وتسعى وتزور ..

فتفكر فى هذا الكلام وتتمنى أن لو حدث لك مثله .

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبرنا أنه لا يخلو القلب من اثنين: الشيطان أو الملك، إذا استمر الشيطان ذهب الملك ، وإذا استمرّ الملك ذهب الشيطان ..

قلبك يوسوس لك بكلام قبيح هذا من الشيطان .. أما إن كان قلبك يفكر فى كلام حسن فهذا من الملك..

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٤٣) .

الشيطان يذكّر الإنسان بما حصل منه ومن المعاصى ويريد أن يرجعه إليها مرة ثانية.. والإنسان ذو القلب الحىّ يقول بمجرد ذلك « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »، لأنه عرف أن الشيطان جاء ليصدّه عن سبيل الله.. قال صلى الله عليه واله وسلم «إن للشيطان لمَّة بابن آدم وللملك لمَّة ، فأما لمَّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمَّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم »(٤٤). ثم قرأ ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾(٤٥) .

س : قال تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾(٤٦) .

فما المراد بالفرقان :

---

(٤٣) سورة الأنفال : آية ١٢ .
(٤٤) رواه الترمذى .
(٤٥) سورة البقرة : آية ٢٦٨ .
(٤٦) سورة الأنفال : آية ٢٩ .

ج ـ قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾(٤٧).

هكذا ضرب الله المثل فالذى معه نور يمشى به فى الناس يشعر بآثاره فى الدنيا ويراه فى الآخرة ﴿ نُورُهُم يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾(٤٨). نور الآخرة يراه، أما نور الدنيا فهو يرى آثاره، ما هى هذه الآثار؟.. أنت تسير فى حارة وحدك ، وقابلتك امرأة وحدها، قلبك حدَّثك: إياك أن تنظر، احترس أمامك شيطانة! فإذا امتنعت عن النظر فأنت صاحب الفرقان، والعكس.. ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾(٤٩).

وفى مناسبة هذا: قال بعض الصوفية : « ابن آدم لا يعرف نفسه إلا فى الخلوة » الخلْوة سبب المعْصية ..

فإذا وجد هذا الشخص تلك المرأة ومعها أولادها وزوجها فى الشارع لا يستطيع عمل أى شىء، وإن استطاع أن يحفظ نفسه منها فى الخلوة بها وحدها فقد صار من الرجال..

إذا كان منفردًا ـ حتى ولو كان يصلى ـ يعاكس النساء، ولكن مع أبيه أو عمه لا يفعل هذا .. إذن فما الفرق بينك وبين غيرك ؟

إن كنت تريد أن تظهر أمام الله فى صورة حسنة وعليك

---

(٤٧) سورة الأنعام : آية ١٢٢ .
(٤٨) سورة التحريم : آية ٨ .
(٤٩) سورة الأنعام : آية ١٢٢ .

«النياشين» فلتكن فى الخلوة صاحب فرقان ، فإذا خلوت فلا تقل إنى خلوت وأفعل ما أريد ، ولكن قل : علىَ رقيب .

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل

خلوت ولكن قـل : علـــىَّ رقيب

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى

وحبُّـــك فـــى قلبى فأين تغيـــب

قال صلى الله عليه وآله وسلم: « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغضُّ بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه »(٥٠) .

الملائكة الذين معه يسرُّون سرورًا عظيمًا لأنهم وجدوا أنفسهم مع من يخاف من الله فى الخلوة ، ويتعجَّبون ويحمدون الله تعالى.. الله الذى لا يحابى أحدًا ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥١) .

وقد ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله يوم القيامة: أيها الناس إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان أكرم من فلان وفلان أكرم من فلان ، وإنى اليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم ألا إن أوليائى المتقون » (٥٢) .

سأل سيدى محمد بن على السنوسى سيدى أحمد بن إدريس

---

(٥٠) رواه أحمد والطبرانى .

(٥١) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(٥٢) رواه الطبرانى.

رضى الله تعالى عنهما :

« أمْلِ علىَّ نسبك يا شيخ؟ قال: إن الزمن قد طال ، وما على فروج النساء أقفال .. انظر إلى نسبى فإن وجدتنى على القرآن والسنة فنسبى القرآن والسنة ».

وفى الحديث « من بطَّأ به عملُه لم يسرع به نسبُه »(٥٣).

العمل هو الذى يوصل وليس النسب، أما النسب المتأخر فهو نسب مظنون ، ولكن يجب أن تحترم أهله وتظن بهم الخير.

السلطان السودانى قال لرجل من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى السودان : جدك هو الذى جاءنا بالصلاة ، والله إن لم تصلِّ لأقطعن رقبتك.. فمن عرف أن له نسبًا فيجب عليه أن يحترم هذا النسب؛ لأنه إذا ارتكب ذنبًا فعليه ذنبان : ذنب الفعل الحرام ، وذنب إهانة النسب .

أتقول مثل ما يقول المُغفلون : نحن لا نصلى ؛ لأن الناس يصلون لنا .. هذا عبث ، والله لو عنده نسب وترك الصلاة لا بدَّ أن يدخل جهنم .

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم الليل ويصوم معظم أيام السنة ، وأنت لا تصلى الصلاة المفروضة !

ولكن قال بعض العارفين : كل من لهم نسب فالغالب والكثير أن يسوقهم الله إلى التقوى ، فإن لم يكن فى الشباب ففى تقدم

---

(٥٣) رواه مسلم والترمذى.

العمر يحدث ذلك .. ترْك الصلاة مصيبة كبرى ، مَنْ فعل الأركان الخمسة تجاوز الله عما سواها .. فطالما أن البيت قد انتظم انتهى الأمر.

تارك الصلاة لا يقبل الله منه عملاً صالحًا أبدًا حتى ولو أدى الزكاة ، أو صام رمضان ، أو حج البيت ، فإن الله تعالى لا يعبأ بالصيام ولا بالزكاة ولا بالحج طالما أنه تارك الصلاة ، لأن تارك الصلاة اختلف العلماء فيه : أكافر أم مؤمن عاصٍ؟

إذا كانت الصلة مقطوعة فماذا يكون بعد ذلك ؟

وفى الحديث : « الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين »(٥٤).

س ـ حول صحة حديث « أنت ومالك لأبيك » .

ج ـ هو حديث صحيح فى البخارى ومسلم ..

س ـ هل الشيطان يمس الإنسان عند ولادته ؟

ج ـ نعم ورد ذلك فى حديث صحيح فى مسلم ولفظه « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه » .

وقد قالت السيدة امرأة عمران : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾(٥٥).

---

(٥٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(٥٥) سورة آل عمران : آية ٣٦ .

الحاج محمد العميرى قال : قال لى جدك الشيخ صالح : عليك بهذا الدعاء.. ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[٥٦] . والحمد لله الذرية المذكورة مقيمة للصلاة ..

وأنا صغير كنت أقرأ كتاباً لشيخى ومما جاء فيه :

أن الإمام الليث (من مصر) بعث إلى الإمام مالك ، والإمام مالك يرد عليه قائلاً: كتبت إليك كتابى هذا ، ونحن معافون صالحون إن شاء الله ..

قلت: ما معنى (صالحون) ؟ قال الشيخ: اسكت يا ولد : معنى صالحين: يعنى مسلمين.. صالح يعنى مسلم موحد بالله، وفى الحديث : « أو ولد صالح يدعو له » .

س - حول حديث « صلوا خلف كل برّ وفاجر » .

ج - هو معنى حديث: « ثلاثة من السنة : الصلاة خلف كل إمام لك صلاتك وعليه إثمه ، والجهاد مع كل أمير لك جهادك وعليه شره ، والصلاة على كل ميت من أهل التوحيد وإن كان قاتل نفس » [٥٧] . أما الحديث الأول فقد رواه البيهقى فى السنن.

س - قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٥٨] . ما معنى تدعو؟

ج - أى فلا تعبدوا مع الله فى المساجد أحدًا ، فالمساجد

---

(٥٦) سورة إبراهيم : آية ٤٠ .
(٥٧) رواه الدارقطنى فى سننه .
(٥٨) سورة الجن : آية ١٨ .

جعلت لعبادة الله تعالى وحده فلا تعبدوا فيها صنمًا ولا اللات والعزّى.

فهو يحذر من عبادة الأوثان فى المساجد فى ذلك الزمان ..

س ـ ما هو زواج الهبة يا مولانا ؟

ج ـ لا هبة فى الزواج ، لا بد من العقد والشهود ، الهبة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم خصوصية له فقط لقوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥٩).

العقد بالمأذون .. وغير ذلك لا يصح ولا يجوز..

س ـ من قال : إن قراءة القرآن فى المسجد منكر ما حكم الدين فيه ؟

ج ـ من قال : إن قراءة القرآن فى المسجد منكر ، كفر ، كيف يكون القرآن منكرًا؟ .. الشيخ محمد بخيت المطيعى قال : هل أنتم تكرهون النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. قالوا : لا ، قال : فلم تمنعون الصلاة والسلام عليه؟ لم يردوا .. قال : قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٦٠).

لِمَ تمنعون قراءة القرآن وكذبتم أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها ؟..

---

(٥٩) سورة الأحزاب : آية ٥٠. (٦٠) سورة الأحزاب : آية ٥٦.

فى عهد الصحابة كانوا يقرأون سورة الكهف وكلهم كانوا حفظة للقرآن ، ولما تأخر الزمان وصار الناس يتكلمون فى المسجد قبل صلاة الجمعة بدلاً من قراءة القرآن ، اختار العلماء قراءة سورة الكهف ، ففى الحديث « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق »(٦١).

وتسعون فى كل مائة لا يحفظون سورة الكهف، إذن ماذا نفعل

قالوا: نحضر لهم مقرئًا يقرأ السورة والباقى يسمع ، وقديماً قالوا : (القارئ كالحالب والسامع كالشارب) ..

س ـ هل الملائكة يعلمون الغيب ؟

ج ـ الملائكة لا يعلمون الغيب إلا إذا أعلمهم الله ..

قال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(٦٢) فمن أين علم الملائكة أن الإنسان سوف يفسد فى الأرض ويسفك الدماء؟

العلماء قالوا : إما أنهم رأوا ذلك مكتوباً فى اللوح المحفوظ فلا يعدَ حينئذ من الغيب، وإما أنهم عرفوا ـ بسبب وجود الجن ساكنى الأرض قبل وجود سيدنا آدم عليه السلام عرفوا أن الإنسان سوف يكون كما يكون الجن معروفًا بالفساد فى الأرض ،وهذا بالقياس، والقياس ليس من علم الغيب، ولكن من علم المشاهدة.

---

(٦١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان . (٦٢) سورة البقرة : آية ٣٠.

إذا همّ العبد بحسنة ففعلها كتبت له عشر حسنات ، وإذا لم يفعلها كتبت له حسنة ، وإذا همّ بسيئة وفعلها كتبت عليه سيئة ، فإن لم يفعلها لم تكتب ..

فإذا فكر الإنسان ـ أى تكلم بالقلب ـ تفكيرًا طيبًا خرجت منه رائحة طيبة يشمها الملكان فيكتبان ثواب التفكير فى شىء حسن ..

وإذا فكر تفكيرا سيئاً لا يحاسب على ذلك إلا إذا فعله أو تكلم به.

س ـ هل الإنسان مسير أم مخير ؟

ج ـ هل ربنا ربطه من يديه ورجليه؟ .. فلو أن ذئبًا خرج عليه ليلاً .. هل يستطيع أن يفر هاربًا منه ، إن كان موثوقًا كان مسيرًا ، وإن لم يكن كذلك كان مخيرًا ..

الفقر : فقر القلب ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »[٦٣].

س ـ حول حديث « اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين »[٦٤]، وهل كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مسكينًا ؟

ج ـ مسكينًا معناها : متواضعًا ، وليس كما فى قوله تعالى ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[٦٥] الذى يجلس على التراب ، وهذا المسكين

---

(٦٣) رواه البخارى ومسلم

(٦٤) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٦٥) سورة البلد : آية ١٦ .

ذو المتربة الذى لا يملك قوت يومه ..

والحديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجه ..

س - السؤال فى القبر هل يكون بالروح أو بالجسد؟

ج - قال أحد المالكية: نصدق بعذاب القبر ولكن لا نتعمق فى كيفيته : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(٦٦).

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٦٧). سيدنا آدم عليه السلام.

قال أحد الصالحين : « لو كنت مكانه لأكلت الشجرة كلها أكذب أنا ويصدق الله ».

فنزوله عليه السلام إلى الأرض تكرمة ، وليس مجازاة من الله على معصيته فهو معصوم عليه السلام ولكن كل ما فى الأمر أن الله أراد أن ينزل آدم إلى الأرض ، فأراد أن يجعل سبباً لذلك ، قال :

إن أكلتما من هذه الشجرة (وهو سبحانه يعلم أنهما سيأكلان منها) لأخرجنكما من الجنة ، فأكلا منها ، فنزلا ، لأن الله يريد لهما ذلك ، وكان هذا هو السبب الذى أراده الله تعالى لذلك .

فقال أحد الصالحين كما سبق : « لو أنى مكانه لأكلت الشجرة كلها أكذب أنا ويصدق الله » .

---

(٦٦) سورة الإسراء : آية ٣٦.

(٦٧) سورة البقرة : آية ٣٠.

فمن نزل من سماء الطاعة كما نزل سيدنا آدم عليه السلام فلا يلوم إلا نفسه .

أما معصية إبليس فهى أكبر بكثير من معصية آدم عليه السلام..

قال تعالى عن معصية سيدنا آدم عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾(٦٨) . أى لم يتعمد..

أما إبليس فقد تعمد .. وهو أول مخلوق يحلف بالله كذبًا ..

ولذا تعجبت الملائكة : ما كنا نظن أن مخلوقًا يقسم بك كذبًا فى الوجود ونؤمن بأنه وسوس ولا نؤمن بأنه دخل الجنة ، فليس فى القرآن تصريح بدخوله الجنة .. فهو حلف بالله أن الشجرة تبقى عليهم فى الجنة ..

ولكن كيف وسوس له ؟ الله أعلم بالكيفية ..

س - «إن إبليس يجرى من ابن آدم مجرى الدم » هل هذا حديث ؟

ج - نعم ولفظه « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم »(٦٩) .

ومعنى الحديث: « يجرى من ابن آدم مجرى الدم »هذه كناية أى: كما يجرى الدم فى الإنسان .

س - هل هذا حديث « إذا ذكر القدر فأمسكوا »..

---

(٦٨) سورة طه : آية ١١٥ .

(٦٩) رواه البخارى ومسلم .

ج - نعم هو حديث صحيح رواه الطبرانى فى المعجم الكبير سأل رجل سيدنا علياً كرم الله وجهه عن القدر فنهره وقال : أتسأل عن قدر الله تعالى ..

س - هل الصور حرام ؟

ج - قال صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة » رواه مسلم .

قيل: إلا كلبا يحرس غنماً، أو زرعاً، أو كلباً متخذاً للصيد.

الصور الفوتوغرافية ، ليست حراماً ، أما الصورة أو التمثال الكامل الذى له ظل فهذا هو الحرام ، لأنه يشبه خلقة الله تعالى.

* * *

ثم ختم الشيخ درسه المبارك بهذا البيت :

قَلْبٌ تَمَكَّنَ حُبُّ أَحْمَدَ فِيهِ

تَاللهِ إِنَّ النَّارَ لاَ تَشْوِيهِ

الفهـــــرس

كلمة الناشـــر	٣
تقديم الجزء الخامس لسيدى عبد الغنى صالح الجعفرى	٥
افتتاحية درس الجمعة	٧
الدرس الثالث والأربعون	
فى تفسير قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾	٨-١٦
الغيب عند الله ، وعلم الغيب من صفات الله	٨
النهى عن القلق من جهة الرزق	١٠
كل شىء عند الله تعالى بقدر ـ الرحمة بين المخلوقات	١٢
العالم كله يسبح الله تعالى	١٤
النهى عن لعن الغير	١٥
لطف الله تعالى وعنايته بمن توكل عليه	١٥
الدرس الرابع والأربعون	
فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾	١٧-٢٩
تعظيم العلماء للنبى صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره	١٧
تفسير العلماء لقوله تعالى : ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾	١٨
الأزهر عطاء من الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم	١٩
جمع الله الأئمة الأربعة وفقههم فى الأزهر	٢٢
جمع الله علوم التوحيد والحديث والتفسير فى الأزهر	٢٢
فرح النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنزول المعوذتين	٢٥
النبى صلى الله عليه وآله وسلم شمس الوجود وشمس القلوب	٢٥
إذا نزل القدر فما يغنى الحذر	٢٦
الأقوال فى سيد التابعين	٢٦
الصوفى يستغنى بخطاب الله عما سواه	٢٧
خطاب الله تعالى لجميع بنى آدم ، ولجميع المؤمنين	٢٧
لا يكمل الإيمان إلا بمحبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم	٢٨
الأب أبوان ـ والإمداد على قدر محبة المريد لشيخه	٢٩

الدرس الخامس والأربعون	
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾	٣٠-٤٦
مكان نزول سورة الضحى وسبب نزولها	٣٠
مناسبة الحلف بالضحى	٣١
نور النبى صلى الله عليه وآله وسلم يفوق نور الشمس والقمر	٣٢
أثر نورانية النبى صلى الله عليه وآله وسلم على بشريته	٣٣
حكم النوافل عند شروق الشمس ـ صلاة الضحى ـ	٣٥
الصلاة مشروعة من عهد أبينا آدم عليه السلام	٣٦
توجيه الحلف بغير الله تعالى فى القرآن الكريم	٣٦
توجيه حديث: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »	٣٧
فضل صلاة الضحى ـ حكم ركعتى الفجر	٣٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى﴾	٣٨
حكاية تظهر عطاء الله تعالى لأوليائه وعنايته بهم	٣٩
هل إبليس من الجن أم من الملائكة ؟	٤٠
تفسير : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾	٤١
الأرض التى نعيش عليها أين تكون يوم القيامة ؟	٤١
التوفيق وأثره فى العمل	٤٢
سؤال الله تعالى عن عبده فى الأوقات الخمسة للصلوات	٤٣
أهمية أن يتفكر ابن آدم فى نعم الله تعالى عليه ورحمته به	٤٥
الدرس السادس والأربعون	
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً ﴾	٤٧-٧٤
بيان حقيقة الإسراء والمعراج وزمانهما وقياسهما على غيرهما من المعجزات	٤٧
لا تحصل الكرامة ولا المعجزة إلا مع التبرؤ من الحول والقوة	٤٩
الشرع يسوى بين الحى والميت والوثنيون فرقوا بينهما	٥٠
صلة المؤمن بإخوانه من الأموات والأحياء	٥١
تفسير النفختين فى قوله تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى ﴾	٥٢
تفسير حديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار	٥٣
صفة الأنبياء والأولياء بعد موتهم	٥٤

مشروعية نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى	٥٥
رؤيا أم المؤمنين عائشة بشأن دفن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه فى حجرتها	٥٦
لماذا قال تعالى : ﴿ أسرى بعبده ﴾ ولم يقل برسوله	٥٧
لماذا كان الإسراء ليلاً؟	٥٨
الحكمة فى الإسراء ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ إنه هو السميع البصير﴾	٥٨
ما ورد فى السنة من شرح للإسراء والمعراج وما كان فيهما من الآيات والمعجزات والمرائى والعبر	٥٩
تفسير ما روى من أن النيل والفرات نابعان من الجنة	٧٠
الدرس السابع والأربعون	
فى تفسير قوله تعالى:﴿ قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم﴾	٧٥-٩٤
تفسير اسمه تعالى:﴿ رقيب ﴾ـ على العقل أن يقبل كل ما جاء به الشرع	٧٥
الكافر بالله لا يساوى شيئاً ـ يجب على المسلمين تبليغ دعوة الإسلام	٧٦
كل من على وجه الأرض هو أمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم	٧٧
كيف نعامل اليهود والنصارى؟	٧٨
رؤية مستقبلية لحال العرب مع اليهود فى فلسطين	٨٠
الشيوعيون كفار لا يؤمنون بالله	٨٣
تفسير قوله تعالى:﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾	٨٤
الأكوان لا تخالف ربها كالبحر والنحل	٨٤
كيف يتحقق الشفاء بعسل النحل	٨٥
تفسير قوله تعالى:﴿قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم﴾	٨٦
معنى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾	٨٧
من فعل مع الله خيراً فجزاؤه مضاعف ـ معنى ﴿ احفظ الله يحفظك ﴾	٨٨
بيان عداوة الشيطان للمسلمين ـ لماذا أمرنا بغض البصر؟	٨٩
النظر إلى النساء المحرمات دليل على الجهل وقلة العقل وعدم الخشية من الله.	٩١
لا تنس عظمة الله تعالى وأنه يراك ـ من معجزات النبى صلى الله	

عليه وآله وسلم مع أبى جهل	٩٢
الله تعالى يرى ويسمع الكلمة التى فى قلبك	٩٣
الذين يخافون الموت ليسوا بأقوياء	٩٤
الدرس الثامن والأربعون	
فى الرد على المنكرين لأقوال وأفعال الصوفية	٩٥-١٠٦
أبيات للشيخ الشبراوى قالها فى زيارته للنبى صلى الله عليه وآله وسلم	٩٥
العارفون فى زيارتهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم درجات	٩٥
حول قول بعض الصوفية : (من ذاق عرف)	٩٧
معنى كلمة (مدد)	٩٧
معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « إذا سألت فاسأل الله »	٩٨
بيان أن الشرك بعيد عن الأمة المحمدية	١٠٢
الإيمان أفضل من العمل وهو الذى عليه المدار كله	١٠٦
الدرس التاسع والأربعون	
فى تفسير قوله تعالى: ﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ﴾	١٠٧-١٢٤
الله تعالى خلق الخلق لأمور كثيرة	١٠٧
على العبد أن يقول : الحمد لله فى كل أحواله	١٠٨
على العبد أن يعلق رجاءه بربه لا بعمله	١٠٨
المحبوب الذى يبقى معك دائماً هو الله تعالى	١١٠
الفرح الحقيقى هو الفرح بالقرآن وبمعرفة الله تعالى	١١٠
الأموات أشد إدراكاً من الأحياء	١١١
غلط ابن تيمية فى تحريم شد الرحال لزيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم	١١٢
حكايات تبين عناية الله تعالى بعباده الصالحين	١١٣
أعمالك تظهر نتائجها فى الدنيا	١١٥
صفات من يكرهون أهل البيت ، ويكرهون زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم	١١٥
الذكر مشكور ولو من غافل	١١٦
الله تعالى يغار علينا ـ وجود الأولياء حقيقة	١١٦

التبرك بآثار النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ الرد على من يقولون : التبرك شرك	١١٧
توضيح حقيقة التبرك بمقام سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه	١١٨
الرد على من قال : اعبد ربك تكن مثل سيدنا الحسين	١١٩
السبب فى كون الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما سيدى شباب أهل الجنة	١٢٠
من مناقب سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه فى حياته	١٢٠
من مناقب سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه بعد استشهاده	١٢١
الولى له الكرامة والمنكر لا كرامة له ـ المراد بالصلاة البتراء	١٢٣
من كرامات سيدى عبد السلام الأسمر رضى الله تعالى عنه	١٢٤
الدرس الخمسون	
فى بيان عظمة الخالق فى خلقه	١٢٥-١٣٨
شرح أبيات للإمام على كرم الله وجهه فى هذا الموضوع	١٢٥
تفسيرقوله : (دواؤك فيك ولا تبصر)	١٢٦
تفسير قوله : (وداؤك منك ولا تشعر)	١٢٦
تفسير قوله : (وتحسب أنك جرم صغير*وفيك انطوى العالم الأكبر)	١٢٧
تفسير قوله : (وأنت الكتاب المبين الذى * على نقشه يظهر المضمر)	١٢٧
من صفات الله تعالى : القدرة والإرادة والعلم والرضا	١٢٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾	١٢٩
من سنن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى صلاة الصبح	١٣٠
من مآثر حمله ووضعه وولادته صلى الله عليه وآله وسلم	١٣٠
بيان علو قدره صلى الله عليه وآله وسلم وأنه نور لا كالأنوار	١٣٢
تفسير قوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾	١٣٥
مواقف مع الشيخ محمود خطاب وبعض فتاواه رحمه الله	١٣٦
الدرس الحادى والخمسون	
فى تفسير آيات من سورة الإسراء	١٣٩-١٥٠
تفسير قوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ الآيتان	١٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ الآية	١٤٦
تفسير قوله تعالى: ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ الآية	١٤٧
تفسير قوله تعالى: ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ﴾ الآيتان	١٤٩
تفسير قوله تعالى: ﴿ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ﴾ الآية	١٤٩
الدرس الثانى والخمسون	
من الآداب القرآنية	١٥١-١٧٧
من عجائب القلب وصفاته وموقفه من القرآن	١٥١
أمثلة لتذوق القلب حلاوة معانى القرآن	١٥٢
التفكير فى معاملة الله لنا يؤدى إلى المعرفة به وإلى محبته	١٥٧
أعظم تكريم لابن آدم أن جعله الله خليفة له بيان معنى الخلافة	١٥٩
الله تعالى له خزائن والإنسان له منها بقدر خدمته لربه.	١٦٢
العلاج من وسوسة الشيطان	١٦٢
أسئلة وإجاباتها	١٦٦
المراد بالفرقان فى قوله تعالى: ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾	١٦٦
تارك الصلاة لا يقبل الله منه عملاً صالحاً	١٧٠
صحة حديث أنت ومالك لأبيك ـ هل الشيطان يمس الإنسان عند ولادته ـ حول حديث « صلوا خلف كل بر وفاجر » وقوله تعالى : ﴿فلا تدعو مع الله أحداً ﴾	١٧٠
حول زواج الهبة ـ وحكم الدين فيمن قال : قراءة القرآن فى المساجد منكر	١٧٢
هل الملائكة يعلمون الغيب ؟ هل الإنسان مسير أم مخير؟	١٧٣
حول حديث: «أحيني مسكيناً..» السؤال فى القبر للروح أم للجسد؟	١٧٤
حول حديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم »	١٧٦
النهى عن الحديث فى القدر ـ متى تكون الصور محرمة	١٧٦
الفهرس	١٧٨

تم بعون الله تعالى وتوفيقه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم